روايات  عالمية

القِطار السريع

Von Ryan's Express

روايات عالمية

العدد رقم ٣٦٤

القطار السريع

تأليف وافيد وستير

ترجمة خديجة برادة

الفصل الأول

كان الحارس الايطالى ، يجلس فى استرخاء فى ظل حائط السجن ، مسندا بندقيته الصغيرة بالقرب منه ، حينما جيء بالاسير الجديد . ولم يهتم بالأمر كثيرا فقد راى من قبل مئات من الاسرى الأمريكيين والانجليزيدخلون معسكر الاعتقال ٢٠٢ . وعرف الحارس أن هذا الاسير الجديد أمريكى ، فحذاؤه من النوع الجيد .

واقترب الأسير الأمريكى من الحارس وحدثه بلغة لم يفهم منها شيئا الا أن نبرة الغضب فى حديثه كانت واضحة .

ـ الا تقف لتحية رؤسائك ، قف وأمسك بندقيتك ، قف .

وبدا الملازم الايطالى المرافق للضابط الأمريكى يشرح الأمر .

ـ اذن اشرح له .

وبعد شرح موجز قام الحارس الايطالى ووقف معتدلا وحيا الأسير الأمريكى .

الا أن الكولونيل الأسير لم يكتف بذلك بل قال :

ـ أرنى سلاحك .. انه فظيع . اننى طبعا لا اريد أن أساعدكم على كسب الحرب ولكننى لا اريد ان يقتل احد جنودنا بسلاح فاسد غير نظيف .

ثم التفت الى الملازم وقال :

ـ اساله متى حلق ذقنه آخر مرة .

كان الكولونيل يتحدث دون أن يرفع عينيه عن الحارس . وبدأ الملازم يسأل الحارس . والحارس يجيبه محنقا ثم يرد الملازم غاضبا فيثور الحارس وتشتد المناقشة .

وفجأة صاح الكولونيل « كفى » .

وتوقف الاثنان كما لو كانا في انتظار أوامره . ولكنه قال بلهجة تهكمية :

ـ ان سبب هزيمتكم في الحرب واضح . فالملازم لا يناقش الجندى بل يأمره .

وفى ارتباك ظاهر قال الملازم وقد احمر وجهه :

ـ هذا صحيح ولكن هؤلاء الحراس انهم ...

كان الملازم شابا لا يتجاوز الثانية والعشرين من عمره ذا شعر أسود مجعد ودون أن يلتفت الكولونيل الى الملازم أو الحارس سار مرفوع الرأس ومر من منطقة الأسلاك الشائكة المحيطة بالمعتقل ثم عبر باب المعسكر الى الفناء الداخلي حيث تجمهر بعض الأسرى .

كان الكولونيل طويلا قوى البنية ذا شعر قصير أشقر وقد خط المشيب سوالفه . يمشى فى رشاقة شاب . وتوحى عينته عن قرب بهيبة تجاوز سنه الست والثلاثين . وحول رأسه وضعت ضمادة قذرة ينضح الدم من احدى جوانبها اما بذلته العسكرية فقد كانت رغم قدمها وقذارتها محتفظة بنسر الكولونيل اللامع على كتفها شارة الطيران نظيفة على صدرها .

حين ظهر الكولونيل صاح احد الأسرى « لحم طازج » وسرعان ما تجمهر كثير من الأسرى الذين كانوا يقفون كسالى أو يجلسون فى خمول فى الشمس او يقومون بأعمال أخرى تافهة .

كان الأسير الذى دعا باقى الأسرى نحيفا بارز الضلوع حافى القدمين أعور . وكان الشيء الوحيد الذى يرتديه هو بنطلون قصير كالح يسقط عن خصره . ولم يكن يميزه عن باقى الأسرى سوى



عوار عينيه فقد كانوا جميعا نحفاء رثى الثياب شعورهم مشعثة طويلة وللكثيرين منهم لحى وشوارب كثيفة .

التفت الأسرى حول الكولونيل يحيونه ويمطرونه بأسئلتهم ..

هل فزنا بمسينا ؟.

هل نزلت قواتنا فى الشمال ؟.

أين اسرت ؟.

ان الحال هنا لن يعجبك ؟.

وبدأ الملازم الايطالى حديثه :

ـ لقد جئنا لكم بزميل جديد .

ورد أحد الأسرى :

ـ آه انك ملازم طيب يابوبى من المؤكد أننا سنمحو أسمك من قائمة أعدائنا الذين يجب قتلهم حينما نحتل نحن هذه المنطقة .

وجاء رجل استرالى ذو شـــارب أسود كبير وعينان زرقاوان وقال :.

ـ هيا انفضوا من هنا . ثم وجه حديثه للقادم الجديد .« أنا الكابتن اريك فينشام من الجيش الملكى البريطانى وقائد الأسرى فى هذا المعتقل مرحبا بك فى المعسكر ٢٠٢ الملعون » .

ـ اما أنا فكولونيل طائر « ثم وجه حديثه الى الجميع » أنا الكابتن جوزيف ريان ومن الآن فصاعدا سأكون أنا رئيسكم ..

ـ ريان ذو الرأس المتحجرة .

كان هذا تعليق أحد الأسرى ويدعى بون بوشتيك ولكن ريان تجاهله وبعد أن انسحب الملازم المرافق وجه ريان حديثه الى الأسرى فقال :

ـ هيا تفرقوا وابقوا فى الداخل الى حين صدور أوامر اخرى . هيا .

ونظر اليه الأسرى فى دهشة .

ـ هيا .. لقد أصدرت اليكم أمرا . هيا .

ولم يجد الاسرى مناصا من طاعته . واتجه ريان الى الأسير الذى استقبله أول الأمر . وقال له :

ـ ارفع بنطلونك .. ما أسمك ؟ .

ـ فرانكلير اورد . ملازم ثان .

والتفت ريان الى فينشام :

ـ لماذا لم يعرض هذا الرجل ؟ .

أجاب فينشام غاضبا :

ـ اقترح أن تسال الكولونيل يتجاليا فى ذلك .

ـ اين نستطيع أن نتحدث على انفراد ؟ .

ـ فى حجرتى .

ـ اذن هيا بنا .

وقاده فينشام عبر الفناء الى بناء يرتفع طابقين ذى شرفات حديدية نشرت عليها ملابس وجوارب وأشياء أخرى بدت كمخلفات جيش مهزوم . كانت تحيط بالمبنى أرض حمراء تنبت فيها زهرة أو اثنتان وبعض التمل .

وتساءل ريان :

ـ أهذه حديقة ؟ .

فرد فينشام .

ـ كلا فهذا الطمى الأحمر هو ما نستخرجه من النفق وعلينا ان نتخلص منه بطريقة ما .

ـ الى اين وصلتم ؟ .

ـ ان هذا النفق جديد وكان القديم على وشك الوصول خارج السور حينما اكتشفه الايطاليون .

تبع ريان فينشام حتى وصلا الى حجرة رطبة مظلمة ذات جدران بنية اللون . كانت الحجرة واسعة عالية السقف ومن ثم كانت تعطى احساسا بالفراغ والوحشة . كل ما بها من أثاث هو سرير وكرسى من الخشب الغير مطلى وعدة صفائح صغيرة . وحبل صغير يمتد عبر الغرفة نشرت عليه فوطة قذرة وجوربان وبعض الملابس الداخلية .

قال فينشام مبتسما :

ـ حجرتى المتواضعة .

ونظر اليه ريان دون ابتسام وقال :

ـ متى نظفت هذه الحجرة لآخر مرة ؟ .

ـ أعتقد أنها نظفت فى يونيه أو مايو ، لا أدرى .. اجلس ياسيدى .

ولم يجلس ريان بل ظل واقفا ومر بيده على ذقنه ثم قال :

ـ أعتقد اننى فى حاجة الى أن أحلق ذقنى .

ـ سيدى ان ذلك متعذر فلا توجد أمواس للحلاقة . على كل حال استطيع أن أشحذ لك واحدا قديما .

ـ لا داعى لذلك .

وهم فينشام باعطاء فرشة الحلاقة للكولونيل ريان فسقطت على الارض ، وانحنى الكولونيل لالتقاطها ولكنه كاد يسقط من الاعياء . لولا أن أمسك فينشام به وأسرع الى باب الحجرة ونادى بأعلى صوته « بونزام .. الى سريعا » .

وسرعان ما دخل الحجرة رجل عريض المنكبين ذو شعر أحمر مجعد وشارب أحمر يصل الى وجنتيه .. ومد يده الى ريان مصافحا .

وقال له فينشام « الى بالكابتن شتاين » .

وتساءل ريان « من هو الكابتن شتاين » .

ـ انه الطبيب .

- ولكنى الآن على ما يرام . هل لديك مرآة لكى أحلق ذقنى.
وأجاب فينشام :
- نعم ولكن يجب أن تحلق فى الخارج فالأنوار لا تضـاء الا ليلا ، وحين تضاء يكون بكمية ضئيلة جدا . هيا بنا الى الخارج .
كان ريان قد أكمل حلق أحدى وجنتيه وبدأ فى الآخرى حينما عاد بونزام ومعه الكابتن شتاين .
كان شتاين رجلا متوسط الطول ذا عينين يقظتين بنيتين . وشعر وشارب بنى . يرتدى ملابس نظيفة ونظر اليه ريان راضيا .
وبادره شتاين بالحديث :
- سيدى دعنى أرى جرح راسك .
وجلس ريان يكمل حلق ذقنه بينما كان شتاين يرفع الضمادة ولم يظهر ريان أى الم حينما نزع الطبيب قطعة القطن الملتصقة بالجرح .
وأخيرا قال له شتاين :
- آه انه سيء للغاية . هل أنت مطعم ضد التيتانوس .
- نعم وضد الكوليرا والجدرى وكل الأمراض الأخرى .
- حسنا لقد سألتك لمجرد حب الاستطلاع فأنا لا أحمل أية أمصال على أى حال سأذهب وأحاول فك أسر أدواتى .
وبعد انصرافه تساءل ريان :
- ماذا يعنى بفك أسر أدواته .
وأجاب فينشام :
- ان الايطاليين يحتفظون بآلاته ومعـــداته ولا يعطونها له الا حينما يكون فى حاجة لعيادة مريض .
- وهل هو دائما نظيف هكذا أم كان هذا مجرد مجاملة لى .
- فى الحقيقة يكون نظيفا هكذا كلما زار أحـد المرضى حتى ولو كان نفرا .

ـ انه على أية حال أنظف من أى شخص رأيته هنـــا فلماذا لا يكون الجميع مثله ؟ •

واحتد فينشام :

ـ فيم هذه العجرفة ؟•

ـ كابتن اننا لن نختلف هنا فى الخارج أمام كل الأسرى هيـا بنا الى الداخل •

وتغيرت لهجة ريان فى الداخل فقال :

ـ ان هذا أسوأ معسكر رأيته فى حياتى وليس لكم أى عذر فأنتم لستم جهلة انتم ضباط •

ورد فينشام : نعم ضباط ولسنا عبيدا •

ـ ستصبحون كذلك بعد فترة وجيزة ان هذا المعسكر مخجل حقا • فهو قذر غير مرتب تسوده الفوضى والتصرفات الصبيانية •

ـ انصت الى جيـدا انك لا تدرى من أمور الحرب شيئا فأنت تريد أن تأكل وتلبس هنا كما تفعل فى أمريكا • الأمر الذى لايمكن تحقيقه • ولكنك سرعان ما ســتعرف حقيقة الأمور اذا فــكرت واستعملت رأسك • هذا اذا لم يتهشم قبل ذلك •

وأجابه ريان فى غاية الهدوء :

ـ هـل هى عادة الضباط فى الجيش البريطانى ألا يحترموا رؤساءهم • هل نسيت اننى الرئيس هنا ؟ •

ـ هذا من سوء حظنا •

وقبل أن يرد عليه ريان دخل الكابتن شتاين وقال :

ـ أخيرا استطعت الحصول على أدواتى ، لو سمحت هيا بنا الى الخارج حيث أستطيع القيام بعملى •

جلس ريان فى الخارج وبدأ شتاين يمارس عمله أمام مئـــات من الأسرى الذين تجمعوا يروا القادم الجديد •

وقال شتاين :

ـ انك ستتألم بعض الشيء فاني سأخيط لك عدة غرز .

وضحك ريان :

ـ ماذا ؟ هل ستقوم بجراحة في المخ ؟.

ـ ورد شتاين مرحا : لقد كان هذا دائما حلم أمي « ابني جراح في المخ » ولكن يبدو ان حلمها لم يتحقق فقد أصبحت طبيبا مولدا ... لقد كدت انتهي من مهمتي ، انه لشيء مؤسف حقا انك لا تستطيع رؤية رأسك وما فعلته بها .

ـ شكرا يا سيدي لقد كان حلاقي أقل منك لغوا .

وابتسم شتاين « ستؤلمك قليلا ولكنها لن تقضي عليك . المهم ألا تعرضها للشمس أو الماء . وتحافظ على نظافتها . (وضحك شتاين) ولا تمارس رياضيات عنيفة كالسباحة أو الملاكمة .

حمل شتاين أدواته ورحل ودخل ريان حجرة فينشام وقال له :

ـ والآن أريد منك بعض التفسيرات .

الفصل الثاني

جلس ريان وبدأ يوجه الأسئلة : أولا لماذا سمحت لنفسك بالتغاضي عن النظام كلية هكذا ؟.

ـ انك لن تفهم .

ورد ريان : لم لا تحاول ، قد تجدني متفاهما .

ـ حسنا : أولا هناك حرب والايطاليون أعداؤنا بلا شك ، انهم يضايقوننا ونحاول نحن أن نضايقهم أكثر . اننا لو تعاونا معهم لاستطعنا ان نحصل على كل ما نريد من طعام وملابس . هذا الى جانب الماء اللازم للنظافة والاضاءة الكافية . ولكنا لا نريد ونفضل عدم التعاون . والآن هل فهمت أم انك تفضل ملابس السهرة وحفلات العشاء ؟.

وأجاب ريان بهدوء تام :

ـ فينشام ألا تدرك أن هناك مستوى معينا للضباط يجب المحافظة عليه مهما كانت الظروف .

ـ انك لا تستطيع أن تدرك اننا في حرب ولسنا في مباراة لكرة القدم .

ـ أعرف ذلك تماما فرأسي لم يصب في احدى المباريات . ولكن هذا ليس وقت النقاش . أنا لا أستطيع أن أدرك كيف تصبح القذارة والفوضى دليلا على انتصارنا على الايطاليين . ثم أخبرني كم عدد محاولات الهرب التي قمت بها تبعا لسياستك .

ـ ولا واحدة ولكن ... وبدأ فينشام يحتد .

ـ انى لا أحاول مناقشة الخطط الحربية معك • انى أصدر الأوامر وعليكم جميعا طاعتها • والآن هيا بنا في المعسكر نرى الى أى مدى ساءت الأمور •

حينما خرج ريان الى الفناء استقبلته أصوات الأسرى الصاخبة• كانوا جميعا يعترضون على بقائهم فى الداخل •

وبدأ ريان تجواله فرأى أحد الضباط الايطاليين وتساءل :

ـ من هذا ؟•

أجاب فينشام :

ـ انه الميجور أورياني وهو مساعد المشرف الحقيقى للمعسكر الكولونيل بتجاليا ••• انه خنزير حقير •

وقف ريان فى وسط الفناء وعقد يديه خلف ظهره وألقى نظرة حوله ، كانت المبانى على شكل حدوة حصان وترتفع طابقين ونظيفة من أعلى قذرة متسخة حيث تصلها أيدى الأسرى وأرجلهم •. أما أرض الفناء نفسه فقد كانت قاحلة لا أثر فيها لزرع باهتة اللون فيما عدا بعض الحصى الأصفر • وحول هذا الفناء سور خشبى مزدوج وأسلاك شائكة ترتفع سبعة أقدام • وفى أحد جوانب الفناء مبنى صغير للحراس وعلى الجانب المقابل مبنى صغير آخر هو السجن الانفرادى ويطلقون عليه الثلاجة ، ويحيط بكل هذه المجموعة سور عال من الطوب وفى كل ركن منه كان يوجد كشك حراسة خشبى يقف فيه حارس ايطالى ينظر الى داخل المعسكر بلا اكتراث •

وقال ريان :

ـ والآن أريد شرحا موجزا عن المكان هنا •

وتغيرت طريقة فينشام فى الحديث وأصبح مجرد جندى يدلى ببيانات عسكرية وقد قام بذلك على خير وجه فقال :

ـ الكولونيل بتجاليا هو المشرف على المعسكر ولكنه لا يتصل إتصالا مباشرا بالأسرى بل يقوم بذلك الميجور أورياني ، أما الملازم

فلافى ، الذى اصطحب ريان الى المعسكر فهو المسئول عن الأسرى الامريكيين والكابتن اليكسندر مسئول عن الأسرى البريطانيين . وهناك ضباط آخرون ولكنهم نادرا ما يظهرون للأسرى .

واختتم فينشام حديثه قائلا :

ـ بتجاليا متعجرف قاس ، وأوربانى حقير ، وفلافى مسالم ساذج واليكسندر مجنون .

وبدأت جولة ريان وفينشام فى المعسكر .

واستمر فينشام فى تقديم تقرير عن الحال فى المعسكر ٢٠٢ فقـــال :

كان هـــذا الحائط يكفى لمنعنا من الخروج ولكن كثيرين منا حاولوا عبوره ونظرا لأن الحراس لا يجيدون التصويب فقد رأى بتجاليا اقامة هذه الأسلاك الشائكة المرتفعة .

كان عدد الضباط الأسرى فى المعسكر ٩١١ منهم ٦٠٢ من البريطانيين و ٣٠٩ أمريكيين بالاضافة الى ٥٣ جنديا بريطانيـــا يقومون بأعمال الخدمة فى المطبخ . أما عن نظام الأكل فقـــد شرح فينشام الموقف بوضوح .

بالاضافة الى علب الطعام التى يرسلها الصليب الأحمر فان الأسرى يتناولون بعض الطعام الذى تقدمه لهم السلطات الايطالية والذى يطهى فى مطابخ المعسكر والحقيقة ان الضباط كانوا يحصلون على علبة واحدة أسبوعيا لكل اثنين من الأسرى . رغم ان القاعدة أن يكون لكل أســـير علبته . ولكن بتجاليا احتج على تنفيذ ذلك بأن ليس لديه ما يكفى من الجنود للاشراف على تسليم ألف علبة وتوزيعها كل أسبوع . وأعتقد ان السبب الرئيسى لذلك هو اننى رشوت أحد الحراس مرة فأعطيته علبتى مقابل سلاحه . ولـكن الحقير أبلغ الأمر للسلطات ومن ثم فان احتجاج بتجاليا ليس سوى وسيلة لعقابنا .

وســـأله ريان :

ـ وما فائدة بندقية واحدة بين ألف أسير ؟ » ثم نظر الى حيث يقيم الجنود الأسرى • كانت الفوضى والقذارة تتفشى بشكل فظيع•

وقال ريان غاضبا « كيف تسمح لجنودك بالحياة هكذا » ؟

ـ سيدى انهم أحسن حالا من الضباط على الأقـل يمنحون طعاما مقابل خدماتهم •

واتجه ريان الى الجناح الأوسط الذى كان يحتوى على حجرتين تستعملان كمستشفى بدائى صغير حيث وجدت أربعة أسرة نحاسية يرقد على أحدها جندى أصيب بالحصبة وعلى سرير آخر رقـد مريض ينضح العرق من جسده وتتقلص عضلاته من شدة الألم أما السريران الآخران فقد كانا شاغرين •

وسـأل ريان فينشام :

ـ ما اسم هذا المريض ومم يشكو ؟ •

ـ اسمه كارتر وهو أمريكى ويقول شتاين انه يشكو من حصوة فى الكلى •

واقترب ريان من المريض وقال :

ـ تجلد ••• أنا الكولونيل ريان الرئيس الجديد هنا وسأبذل قصارى جهدى لاسعافك وعلاجك •

وخرج ريان من حجرة المريض وطلب من أحـد الممرضين الايطاليين استدعاء الدكتور شتاين ثم أكمل جولته فى المعسـكر الى أن وصل الى عنبر مغلق••

ـ ما هـذا ؟•

ـ الحمامات • لقد ادعى بتجاليا انه ليس هناك ماء أو وقود يكفى لـكى نستعملها وذلك فى صبيحة اليوم الذى اكتشف فيه النفق الأول الذى حفرناه من هناك • ومن ثم فاننا لم نستخدم منذ ذلك الحين الا مرة واحدة قبل أن يزورنا الملاك الحارس •

ـ الملاك الحارس ؟•

ـ نعم ، فكل ثـــلاثة أشهر يحضر لزيارتنا أحد السويسريين ليتفقد الأحوال هنـــا ويرى ان كان الايطاليون يطبقون نصوص ميثاق جنيف أم لا ؟•

ـ ان منظر المكان يوحي بأنه لا يقوم بواجبه •

ـ آه انه يفعل ذلك ولكننا نحاول قـــدر الامكان أن نسيء الى الايطاليين •

واكمل فينشام حديثه مفاخرا :

ـ ألم تسمع ما قيل عن هذا المعسكر في مجلس العموم ؟ • انه أسوأ معسكر للضباط في العالم •

ورد ريان •• لا أعتقد ان الايطاليين مسئولون عن ذلك كلية • على أية حال أنا أريد أن أرى نسختك من ميثاق جنيف •

ـ نسختي أنا ؟ انني لم أر هذا الميثاق قط •

ولم يعلق ريان على ذلك بل كتب عدة ملحوظات في مفكرته وواصل فحصه للمكان حتى وصـــل الى المطبخ وهو حجرة واسعة قذرة بها فرن كبير أسود وثلاث حلات كباز • كان يعمل في المطبخ عدة رجال بملابسهم الداخلية ونادى فينشام على أحدهم وقال له :

ـ روجر لقد انضم الكولونيل ريان الى جوقتنا المرحة فلا تنس أن تضيف له طبقا •

ثم وجه حديثه الى ريان :

ـ كان روجر يمتلك مطعما في شارع سيفي قبل الحرب •

ولم يبتسم ريان بل قال :

ـ ان هذا المكان قذر للغاية ويجب أن نجد حلا لذلك • وحينئذ دخل دكتور شتاين وقال :

ـ سيدي هل استدعيتني ؟ •

ـ نعم ، هل حالة كارتر سيئة ؟•

ـ لا أستطيع أن أجزم دون اجراء كشف بالأشعة •

ـ سيدى الدكتور عليك أن تقيم الدنيا وتقعدها مع المئ

هنا حتى يعطوك ما يلزم لعلاجه أو يأمروا بنقله الى مستشفى حقيقى •
ـ ولكن يا سيادة الكولونيل اثارة المنازعات ليست من طبيعة الأطباء وأنا •••
ـ اذن تعلم اثارة المنازعات •
خرج شتاين ووجه ريان حديثه الى الطباخ :
ـ ما هذا الذى تطهوه ؟•
ـ حســـاء القرع •
ـ انني لم أسمع ان القرع يعمل حساء •
ـ هذه هي الأوامر هنا •
وذاق ريان الشوربة وقال :
ـ انها تحتاج الى بعض الملح •
ـ سيدى اننا لا نحصل على الملح هنا ببساطة •
ـ وهل تقدم هذه الشوربة مع العشاء ؟•
ـ سيدى انها هي الغذاء •
ودون ريان بعض الملحوظات ثم اتجه مع فينشـــام الى عنابر نوم الضباط وعلى الباب توقف ريان وقال :
ـ يا الهى كيف يستطيعون تحمل هذه الرائحة الكريهة ؟•
ـ سيدى هل كنت تتوقع رؤية حجرات نوم حقيقية ؟•
كان العنبر طويلا ضـيقا تصطف فيـه الأسرة المزدوجة على الناحيتين ونوافذه عالية ضيقة ولكنه كان يعج بالحياة والضجيج وأصوات الضباط المختلفة التى أخذت تتضاءل حتى خمدت كلية بعد دخول ريان الذى نظر غاضبا وقال :
ـ حينما آتى هنا المرة القادمة انتظر من أول من يرانى منكم أن يهتف « انتباه » وعليكم أن تظلوا كذلك حتى أصدر اليـــكم أوامر أخرى •
والتقت عينا ريان بعينى ذلك الضابط الذى تعرف عليه من قبل فسـألـه :
ـ هل تدعى بون بوستيك ؟•

واجاب الرجل الضخم بلهجة لم يحاول أن يخفى لمحة الغضب فيهـــا :

ـ نعم •

ـ لو انني سحقتك فى تلك المباراة لما كنت هنا أيها الملازم •

ـ نعم يا سيدى ••• وأنا الآن كابتن •

ـ آسف ••• وأهنئك •

وعلى الباب التفت ريان الى الأسرى وقال مبتسما :

ـ سادتي تستطيعون الآن الاستمرار فيما كنتم تفعلون •

وحتى يكمل جولته اتجه الى منطقة الغسيل حيث اصطفت عدة أحواض وتساءل :

ـ هـــل تغتسلون هنا ؟•

ورد فينشام :

ـ نعم نحصل على الماء ساعتين في الصباح وساعة فى الظهيرة وساعة فى المساء • فأوريانى يدعى قلة الماء •

ولم يعلق ريان بل دون عدة ملحوظات أخرى في دفتره وفى هذه اللحظة سمع صوت نفير حاد وتدفق الأسرى خارج عنـابرهم بملابسهم الرثة القذرة •

وشرح فينشام :

ـ طابور المساء ••• الى اللقاء يا كولونيل سأراك فيما بعد •

وقف الأسرى فى صفوف متعرجة غير منتظمة • ودخل الميجور أوريانى والكابتن اليكسندر والملازم فلافى يتبعهم عدة جنود ونظر ريان الى أوريانى الذى جابه نظرته بنظرة تحد سافر •

وقال ريان :

ـ ميجور اوريانى الا تحيي من هم أكبر منك رتبة ؟•

وابتسم أورياني ابتسامة رياء وقال :

ـ حســـنا •

كان أورياني يتحدث حديث الواثق من نفسه كان أطول من ريان يلبس ملابس عسكرية نظيفة للغاية وحذاؤه يلمع وشاراته براقـــة .

وأكمل أورياني حديثه :

ـ سأدعو لك ميجور ويمرلى ليدلك على مكانك فى الطابور .

وجاء شاب حديث السن يبدو عليه الارتباك .

وقطع عليه ريان حيرته فقال :

ـ أين مكانى ؟ .

ـ اننا نقف هنا حسب عنابرنا وهناك مكان خال فى العنبر «ب» وأعتقد انك ستوضع فيه ومن ثم تقف فى الطابور الثانى .

ـ وأين تقيم أنت ؟ .

ـ فى حجرة منفصلة مثل كابتن فينشام .

ـ سيدى من الآن ستصبح هـــذه حجرتى أما انت فيمكنك الانتقال الى المكان الخالى فى العنبر «ب» .

واذ ذاك تقدم الكابتن اليكسندر وأصدر أمرا فاتجه اثنان من الجنود الى كل جانب وأحاطوا بالأسرى .

وبدأ فلافى يعد الأسرى الأمريكيين واليكسندر يعد الأسرى البريطانيين وحين انتهوا من مهمتهم سجلوا عدد الأسرى فى مذكرات صغيرة أعطوها لأورياني الذى نظر اليها ثم أعطى سجل فـــلافى له وأشار اليه معنفا . وبدأ فلافى يعد مرة أخرى ثم أعطى سجله لأورياني . وأخيرا أصدر أورياني أوامره بلغة ايطالية سريعة . وساد الهرج وبدأ فلافى يعد مرة أخرى بسرعة .

وسأل أحد الأسرى الملازم فلافى :

ـ ما الخبر يا بوبى ؟ .

ـ هناك أسير مفقود .

وانتقلت الهمسات بين الأسرى .

وأخيرا صرخ أورد :

ـ انظروا هناك الدكتور شتاين •

وتنفس فلافي الصعداء كان أورد أول من يلاحظ الأمور رغم كونه أعور •

كان شتاين يرافق اثنين من المرضين يحملان نقالة عليها كارتر الى خارج المعسكر ثم عاد شتاين وهو يرفع يديه بالتحية كما لو كان مصارعا قد فاز في جولة هامة • وأخذ يتلقى التهانى من حوله حتى وصل الى مكانه بين الصفوف •

واخيراً ساد السكون وبدأ أوريانى :

ـ سادتى ... نستطيع الآن ان نستأنف عملنا •

عم الهدوء وساد السكون وتوجه الأسرى الى عنابرهم وجيء لريان ببعض الحاجيات التى ترسلها هيئة الصليب الأحمر للأسرى• منها مخدة وبطانية وملعقة وشوكة وبعض اللبن المجفف والسكر ومشط وصابون •

وخلع ريان ملابسه وحذاءه وتحسس جرحه ثم تنهد واستلقى على سريره وسرح فكره في زوجته وأولاده الثلاثة ومتى تصلهم أنباء أسره وتأثيرها عليهم ولكنه لم يسترسل فقد شغل بأمور أخرى • فهو الآن مسئول عن حوالى ألف رجل وبدأ يسترجع النقاط التى دونها فى مفكرته • ثم بعد ذلك استغرق فى نوم عميق•

الفصـــل الثـــالث

استيقظ ريان فى صبيحة اليوم التـالى على أصوات مختلطة خارج حجرته وحين حاول النهوض هاجمته الآلام فى كل جسمه • واجتاحت مشكلات اليوم الجديد ذهنه فأصبح غير قادر على الحركة • وأخيرا استطاع النهوض وذهب الى مكان الاغتسال واصطف مع الآخرين • ورغم الهرج والصخب الذى ســـاد المكان أحيط ريان بهالة من السكون • فاغتسل وعاد الى حجرته دون تبادل أى كلمة مع أى شخص •

بعد فترة قصيرة صاح احد الرجال :

ـ الافطار • •

أخذ ريان ملعقته وشوكة وبعض العلب المحفوظة واتجه مع غيره الى صـــالة الأكل كان كل الأسرى يحملون ملاعقهم وشوكهم وأشياءهم مثله ولكن أحدا لم يهتم باخبار ريان باحضار كوبه ليشرب فيه الشاى •

بعد الافطار اصطفت طوابير الصباح ولكن احســاس الأسرى بوجود ريان جعلهم يقفون فى صفوف شبه منتظمة • وقد تم عدهم بأسرع مما تم فى المساء السابق •

بعد الانتهاء من هـــذه المهمة سرح الأسرى وانسحب الضباط المشرفون واقترب ريان من فينشام وقال له :

ـ هيا بنا نتجول قليلا فأنا أريد أن أتحـــدث اليك فى أمور

هامة « ونظر الى المذكرة التى يحملها » وانتظر منك تعاونا كاملا .
ــ سيدى أنا رهن اشارتك .

ــ حسنا ان أول شيء سنفعله هو أن ننظف الرجال والمكان . تلك «الجرادل» الملقاة هنا أريدهم أن يستعملوها وينظفوا عنابرهم الأبواب والنوافذ والحوائط والأرض ، وأريد قص شعور كل الرجال وسأحاول ايجاد أمواس حلاقة لهم ليحلقوا كل يومين . ثم هناك شيء آخر أريد أن يرتدى الرجال ملابس نظيفة أثناء الصلاة وأثناء طابورى الصباح والمساء .

ــ ان ذلك أمر صعب التنفيذ فليس لدى كثير من الأسرى ملابس لائقة .

ــ ولم لا ان السلطات الايطالية ملزمة بايجاد ملابس ملائمة للأسرى .

ــ سيدى ان الصليب الأحمر يرسل ملابس عسكرية وأحذية للأسرى البريطانيين والأمريكيين ولكن أوريانى الملعون لا يريد اعطاءها لنا ويدعى اننا سوف نصبغها ونهرب بها .

ــ حسنا سأحاول أنا تدبير هذا الأمر . والآن أريد منك اعطائى أسماء أكبر عشرة ضباط امريكيين وأكبر عشرة ضباط بريطانيين . ثم اطلب من الرجال التجمع فى الخارج وحين تفعل ذلك استدعنى من حجرتى .

بعد فترة ليست بالقصيرة استدعى فينشام ريان . الذى توجه الى وسط الجموع وهو يحمل كرسيه . ثم وضعه على الأرض ووقف عليه وانتظر الى أن خفتت الهمهمات ثم سكنت كلية وبدأ حديثه :

ــ سادتى من الآن فصاعدا ستتم بعض التغيرات فى المعسكر ٢٠٢ وأنا على يقين من انكم ستتقبلون هذه التغيرات وتقومون بها على الوجه الأكمل .

وسادت الهمهمات من جديد .. وأكمل ريان حديثه :

ـ تقبل هذه التغيرات لا يهمني ولكن ما يهمني حقا هو حسن القيام بها .. والآن الرجا تنفيذ الأوامر التالية :

أولا ـ سيحلق الجميع رءوسهم أنا طبعا لا أتوقع أن يتم ذلك بمهارة ولكن أريد شعورا قصيرة .

وصاح أحد الرجال وكان أصلع :

ـ وأنا يا سيدى ؟ .

ولمعت صلعته فى ضوء الشمس وانتظر ريان حتى كف الأسرى عن الضحك .

ثانيا ـ حينما يبدأ ميعاد الاشغال ستقومون باخراج كل شيء من عنابركم ثم تنظيفها تنظيفا جيدا .

ثالثا ـ لا أريد تضييع الوقت فى الأحاديث التافهة أو النكات .

رابعا ـ أريدكم أن تحلقوا ذقنكم كل يومين وتستطيعون الاحتفاظ بشواربكم على شرط أن تهذبوها ولا أريد رؤية لحى .

وقال ضابط بريطانى حديث السن .

ـ سيدى لا توجد معنا ليرات كافية لشراء أمواس من متجر المعسكر .

ـ أتعنى ان بالمعسكر أمواسا .

وأجاب رجل سمين تبدو عليه الطيبة :

ـ نعم يا سيدى .

وسأله ريان :

ـ من أنت ؟ .

ـ أنا الضابط يونس سميث المسئول عن متجر المعسكر . ان لدى كثيرا من الأمواس ولكن هؤلاء الرجال لا يستطيعون الشراء .

ـ اذن اعطها لهم بالأجل .

ـ سمعا وطاعة يا سيدي .

خامسا ـ على كل الضباط والجنود تحية الضباط والجنود

الأكبر منهم مرتبة سواء كانوا بريطانيين أو أمريكيين أو ايطاليين • وأخيرا أنا فى انتظار تنفيذ هذه القرارات والى أن تصلكم منى أوامر أخرى ، شكرا سادتى •

وعلق بونز على ذلك قائلا :

ـ نحن نحيى جنود الأعداء ؟•

وتجاهل ريان هذا التعليق مؤقتا والتفت الى ضابط حديث السن كان يقف بجانبه :

ـ ما اسمك ؟•

ـ ملازم بترسون •

ـ هل لديك قميص ؟•

ـ نعم يا سيدى •

ـ حسنا من الآن فصاعدا ارتده فقد عينتك باورا خاصا لى • وسأدعوك الى حينما أحتاج اليك •

وسار ريان الى الرجل الاصلع الذى قاطعه ثم قال له بصوت عال :

ـ أنت وبونز سوف تبقيان فى داخل العنابر لمدة ٢٤ ساعة ولا تخرجان الا للأكل ••• مفهوم ؟•

وساد الأسرى صمت محموم غاضب وجاء القسيس الأمريكى فقال ريان :

ـ أريد أن ترتدى ملابس مناسبة فلا يليق بقسيس أن يرتدى هذه الملابس الرثة •

ـ حسنا سأفعل ذلك يا سيدى •

ـ والآن أريدك أن تصحبنى الى الكولونيل بتجاليا •

ـ هل استدعاك ؟•

ـ كلا فأنا أفضل البدء بالزيارة ـ أما أنت فتستطيع أن تكون مترجمى الخاص اذا احتاج الأمر فقد علمت انك تتحدث الايطالية ببراعة •

الفصـــل الرابع

رفض الحارسان رجاء القسيس فى السماح لريان بالمثول أمام الكولونيل بتجاليا وقال له ريان :

ـ قل له اذن انني أريد رؤية أورياني •

ـ ولكنهم جميعا يخافون أورياني ويخشونه •

ـ ألا يخشونني أنا ؟•

ـ نعم ولكن ليس كما يخشون أورياني •

وهنا التفت ريان الى الحارس وقال بصوت عال غاضب قاس :

ـ الميجور أورياني •

وذهل الحارس وبهت لونه وجاء حارسان آخران لمســـاندته وتجمع الأسرى لمشاهدة المنظر المثير • وظهر وجه أورياني من نافذة حجرته ولكنه ألقى نظرة ثم اختفى ثانية . وهنا صرخ ريان بأعلى صــــوته •

ـ ميجور أورياني •

وخرج الملازم فلافي وتساءل :

ـ سيدى ماذا تريد من الميجور أورياني ؟•

ـ اذهب وقل له ألا يرسل الى صبيا حينما أطلبه هو •

بعد لحظات ظهر أورياني وابتسم ابتسامة دهاء ومكر وقال :

ـ ماذا تريد يا كولونيل ريان ؟•

ـ أريد مقابلة الكولونيل بتجاليا •

ـ ألا يحسن بك أن تخبرنى عما تريده منه وأنا سوف أحاول أن ...

ـ أريد مقابلة بتجاليا شخصيا ولا أريد تضييع وقتى مع مساعديه .

ـ حسنا هيا بنا .

جلس الكولونيل بتجاليا فى مقعده وبدأ متحفزا للهجوم . وكانت عيناه تلمعان ببريق الغضب .

وأخيرا قال :

ـ كولونيل ريان لقد جئت هنا أمس فقط ومع ذلك ها أنت قد أثرت الأسرى .

ورد ريان :

ـ هذا هو سبب مجيئى اليك ان حالة المعسكر ٢٠٢ سيئة للغاية وأنا على يقين أن الأسرى أنفسهم مسئولون الى حد كبير عن حالة الفوضى والقذارة المتفشية هنا . ولذلك فقد جئت اليك طالبا التعاون . (وصمت ريان فترة) هل تسمح لنا بالجلوس ؟.

وقال بتجاليا مهتما :

ـ نعم .. نعم .. أى تعاون هذا الذى تطلبه ؟ .

ـ أولا : أريد ان أشكرك لارسال اللازم كارتر الى المستشفى .

ثانيا : معى هنا قائمة بالمسائل التى أرغب فى مناقشتها معك حيث أن كلينا مهتم بمصلحة الأسرى وحسن سلوكهم . لقد أمرت جنودى وضباطى بتحية الضباط الأكبر منهم مرتبة سواء كانوا من الأسرى أنفسهم أو من الايطاليين . أفلا ترى أن واجب صغار الضباط الايطاليين تحية كبار الضباط الأسرى .

ولم يرد بتجاليا جوابا فأومأ برأسه .

واستمر ريان :

ـ وقد تبينت أن سبب تفشى الفوضى هو عدم اهتمام الأسرى

بنظامهم ونظافتهم فملابسهم ممزقة • لذلك أعتقد انهم لو اهتموا بالنظافة والنظام فى عنابرهم وملابسهم فسيكونون أكثر طاعة لنا•

وعلق بتجاليا على ذلك بقوله :

ـ هذا صحيح •

وأكمل ريان :

ـ لقد أمرتهم بتنظيف عنابرهم وقص شعورهم وحلق ذقونهم ولكننا لتنفيذ ذلك نحتاج الى جرادل طيعة وأمواس وما، سباخن وصابون وملابس جديدة • وقد علمت ان هناك ملابس عسكرية فى المخازن ••••

وقاطعه بتجاليا :

ـ كلا لن أسمح بأية ملابس فقد سبق أن حاول بعض الأسرى ادخال التغيير عليهـــا وجعلها تشبه المـــلابس الايطالية وحاولوا الهرب بها •

ـ سيدى انى أعطيك وعدا بألا تستغل هذه الملابس فى أغراض الهرب مرة أخرى •

ورد بتجاليا قائلا :

ـ يجب أن أستشير أوريانى فى ذلك • ان الايطاليين يسيرون حفاة عراة بسبب قنابلكم •

ـ ولكن سكان صقلية يرحبون بجنودنا • وعلى ايه حال يمكننا ترك مسألة الملابس هذه •

وبدأ ريان يعرض باقى طلبـــاته ولكن بتجاليا رفضها كلها فايطاليا بلد فقير تحارب بلدا قويا ولا تستطيع توفير الراحة لأسرى الحرب الذين يقوم زملاؤهم الآن يقتل الجنود الايطاليين •

وأخيرا قال ريان :

ـ ثم هناك شىء آخر ••• لقد سمعت انك فى حاجة الى جنود •

ـ نعم فليس لدى غير نصف العدد الذى احتاجه •

وردّ ريان :

ـ نعم اعلم ذلك فكبار الضباط يجلسون على مكاتبهم ولا يعرفون حقيقة الحالة فى الميدان •

وأجابه بتجاليا موافقا :

ـ هذا صحيح •

ـ اذن أريد أن أعرض عليك بعض المساعدة • سأختار بعض الضباط ليقوموا بنقـــل معونة الصليب الاحمر واعـــدك بشرفى ألا يحاول أحدهم الهرب •

وتردد بتجاليا فترة ثم قال :

ـ حسنا على هذا الشرط •

وأكمل ريان حديثه :

ـ وحيث أن عدد الأسرى سيكون كافيا لنقـل طعام الصليب الأحمر فأنا أقترح أن ينال كل أسير علبة كل أسبوع

ـ ولكن الأكل الكثير يجعل الأسرى يحاولون رشوة الحراس •

ـ ان علبة واحـــدة فى الأسبوع لكل أســـير ليست بالكثير وعلى كل حال أعدك ألا يستعمل هذا الطعام فى رشوة الحراس قط •

وتردد بتجاليا فترة ثم أجاب :

ـ حســـنا •

ورد ريان :

ـ سيدى الكولونيل •• انى ورجالى شـــاكرون لك حسن اصغائك لمشكلاتنا •

وقال بتجاليا وهو يبتسم :

ـ سيراقبك أوريابى عن كثب فانت ماكر جدا •

وقال ريان هادئا :

– انی أعنی کل کلمة قلتها وسأنفذ وعودی لك • والآن هل تسمح لنا بالانصراف •

حينما خرج ريان والقسيس من حجرة بتجاليــــا مرت بوجه أوريانی الذی كان ينتظر بالخارج سحابة قلق وخوف • واستأذن منه ريان والقسيس وتركاه نهبا للشكوك •

وفی الخارج بدأ القسيس يتحدث :

– كولونيل ريان انی أهنئك من صميم قلبی وسيشكرك كل الأسری حينما يعلمون بما فعلته اليوم من أجلهم •

– انی لا أريدك يا أبت أن تحدث الأسری بما حدث فقد يغير بتجاليا رأيه اذا ما ضغط عليه أوريانی وأنا لا أريد أن أبعث الأمل فی الأسری ثم أخذلهم •



الفصـــل الخامس

كان أورد أول من لاحظ خروج ريان والقسـيس من لدى بتجاليــا • وسرعان ما أعلن ذلك فتجمهر الأسرى وأمطروا ريان بوابل من الأسئلة • ولكنه لم يرد عليهم وكذلك القسيس • وأخيرا طلب ريان الى فينشام أن يتبعه ليتباحثا ، وقال له :

ـ أريدك أن تجمع ويمرلى رئيس القسم الأمريكى وجريمزلى المشرف على القسم البريطانى وبرسفورد الطاهى وبترسون وأنت فى حجرتى • وسآتى اليكم هناك فورا •

توجه ريان الى عنبر (م) حيث يقوم الجنود بعملية التنظيف الشاقة ومر بيده على الشباك فوجد بعض الأتربة ولكنه نظر الى الأسرى وقال مبتسما :

ـ هذا أحسن ما تستطيعون القيام به الآن ، ولكننا حين نحصل على معدات فسأنتظر منكم مزيدا من النظافة والآن ••• سـادتى تستطيعون الاستمرار فى عملكم •

ورغم رغبة الأسرى فى المعارضة ونفورهم من عملهم الا أن مدحه لهم بعث فيهم بعض الشعور بالرضا •

دخل ريان حجرته فوجد كل من طلبهم يجلسون صـامتين فى انتظاره •

وبدأ ريان حديثه :

ـ لقد وافق الكولونيل بتجاليا على التعاون معنا فى حل عدة مشكلات وهذا يتطلب بعض التعاون من جانبنا .

وعلق فينشام غاضبا :

ـ انا لن أتعاون مع الأعداء .

ـ كولونيل فينشام ستنفذ الاوامر بلا اعتراض .. أولا لقد وافق الكولونيل بتجاليا على أن يحيى كل الأسرى والحراس كل الضباط الأكبر منهم رتبة سواء أكانوا بريطانيين أم أمريكيين أم ايطاليين .

وعلق فينشام مرة ثانية :

ـ لقد انجزت الكثير فى تلك المقابلة .

وتجاهل ريان هذا التعليق وأكمل حديثه :

ـ ثانيا بالنسبة لنقل معونة الصليب الاحمر سيساعد بعض الأسرى فى نقل علب الطعام الى المعسكر .

وظهر التذمر على وجوه الموجودين .

وأكمل ريان حديثه :

ـ ملازم ويمرلى .. أنت وبرسفورد أرجو أن تستعدا لنقل ألف علبة طعام .

ـ ألف ؟ .

ـ نعم .. فقد وافق الكولونيل بتجاليا على أن ينال كل أسير علبة كاملة فى الأسبوع .

وزال التذمر وصاح فينشام :

ـ برافو .. آسف لتعليقى السابق واهنئك .

واستأنف ريان حديثه :

ـ سادتى لم يحن الوقت بعد لتهنئتى أو لنهنىء أنفسنا مازال امامنا الكثير لانجازه . وأرجو الا يصدر عنكم اى حديث يشير

الى مسألة العلب الكاملة فقد يحرج أوريانى بتجاليا ويضطره الى تغيير رأيه .

واخيرا سمح ريان للقادة بالانصراف ماعدا فينشام وساله :

ـ اين قائمة إسماء أكبر عشرة ضباط بريطانيين واكبر عشرة ضباط امريكيين ؟ .

ـ ولكنك طلبتها هذا الصباح فقط .

ـ كولونيل فينشام حينما اطلب شيئا فأنا أريده فى الحال وبلا أدنى تأخير . أريد هذه القائمة بعد طابور المساء .

حين جاءه فينشام بالقائمة فى المساء نادى على بترسون .. وقال له :

ـ اريدك ان تخطر الاشخاص الموجودة اسماءهم هنا بضرورة الحضور الى بعد العشاء على أن يحضروا فرادى فأنا لا أريدهم أن يتجمهروا أو أن يحس باقى الأسرى بأى شىء .

حين اجتمع ريان بكبار الضباط كانوا جميعا فى عجب من أمره ماذا يريد منهم ولماذا دعاهم فى هذا الوقت ؟ ولم يطل انتظارهم فقد بدأ ريان حديثه فورا فقال :

ـ سادتى لقد جمعتكم هنا لثقتى بأنكم ستتعاونون معى الى اقصى حد . اعتقد انكم جميعا لاحظتم بل وقد تذمرتم من سوء النظام هنا . وأنا أريدكم أن تبذلوا قصارى جهدكم لكى يتحول هذا المكان الى معسكر حربى حقيقى لا مجرد اسطبل للخنازير .

وطغت أصوات التذمر على صوته .

ـ سادتى سنقسم هذه الجموع الكثيرة من الأسرى الى عشرين وحدة يرأس كل منكم واحدة . ويكون مسئولا عن رجالها مسئولية تامة . وسيكون فينشام مشرفا عاما يساعده ويمر لى .

وتذمر الرجال مرة أخرى :

ـ سادتي اني واثق انكم ستنفذون أوامري بحذافيرها فكل ضابط يخطىء لا يعاقب وحده بل يعاقب رئيسه معه كذلك .

وساد السخط مرة أخرى .

ـ اريد من كل منكم حصر أسماء تابعيه ورتبهم والحرف التي يجيدونها فاذا طلبت مثلا شخصا يتحدث الايطالية أوشدتموني عنه . واذا طلبت رسم خريطة عرفت من من الأسرى يستطيع ذلك . واذا أردت متحدثا باللغة الألمانية وجدته ... أريد مسحا شاملا لحالة الأسرى وامكانياتهم وحاجتهم أيضا .

وبدأت الأصوات تهدأ فيما عدا بوشتيك الذي قال :

ـ كولونيل اريد أن انتقل من هذا المعسكر فورا .

وظهر الغضب على ريان وقال :

ـ ان أي معسكر لن يقبلك بل ولن يقبلك الايطاليون انفسهم . ولكنك تريد رفع راية العصيان .. اذن .. عليك بالسير حول المعسكر ساعة كاملة كل يوم على أن تسير بخطوة عسكرية . وسيراقب ويمبرلي هذه العملية ، والآن سادتي تستطيعون الانصراف .

الفصل السادس

وجاء يوم توزيع علب الطعام . وبدأ الاسرى يلعبون ويمرحون كما لو كانوا صبية ينتظرون حبيباتهم ولاحظ ريان ذلك وسأل فينشام أن كان أحد قد أفشى سر العلب ولكن فينشام طمانه بأن الاسرى يكونون هكذا دائما فى يوم توزيع العلب وانهم لا يعرفون بعد أن كل منهم سيحصل على علبة كاملة لا نصف علبة .

واتجه ريان الى وسط المعسكر ووضع كرسيه ثم وقف عليه وقال :

ـ سادتى أريد مائة وعشرين رجلا قويا للقيام بعمل عسكرى هام .

ولم يفهم أحد غرضه .

واكمل ريان طلبه :

ـ على الذين يريدون التطـــوع الاقتراب منى لتسجيل أسماءهم .

ولم يقترب سوى بترسون وفينشام . وهنـا سار ريان بين الأسرى ينتقى الأقـوى والأضخم فـكان يقول « أنت ... أنت » فيسجل بترسون أسماءهم . وحين اكتمل لديه العدد اصطحب المتطوعين معه وترك الباقين فى حيرة من أمرهم بعد أن اصدر اليهم الأوامر بالبقاء داخل عنابرهم لحين صدور أوامر أخرى منه .

بعدأن ابتعد الاسرى تحدث ريان الى المتطوعين بالاكراه فقال :

ـ ابدا حديثى بشكركم عن التطوع .. ومهمتكم تتلخص فى مساعدة الكولونيل بتجاليا فقد وعدته بذلك .

وبدأت الشتائم اللاذعة تتساقط عليه وعلى أبويه ووصف بأنه خائن متعاون مع الاعداء و ..

ولم يطق ريان صبرا فقال :

ـ ليس لدى الوقت لمعاقبة الفوغاء منكم ولكن فى المرة القادمة سيكون العقاب أكثر مما تتوقعون والآن .. سوف تساعد جنود الكولونيل بتجاليا فى نقل علب الطعام من عربات الصليب الاحمر الى خزائن المعسكر . وسيتطلب ذلك خروجنا من هنا ولكنى وعدت الكولونيل بتجاليا الا يحاول أحدكم الهرب وأقسم بشرفى أن الذى سيحاول أو يفكر فى الهرب سيلقى جزاءه هنا أو بعد انتهاء الحرب اذا كانت محاولته قد أفلحت .. مفهوم ؟.

وحينئذ ساروا جميعا الى باب المعسكر حيث وقف أوريانى وبعض الحراس على استعداد لاطلاق النار على كل من يحاول الهرب .

وأوقف ريان الأسرى فى طابور طويل بحيث يبعد الواحد عن الآخر عدة أقدام وجعل أول الطابور عند العربة التى تحمل العلب وآخر الطابور عند باب المخزن وبقى لديه أحد عشر رجلا من بينهم القسيس . فجعل القسيس يعد العلب والعشرة الباقون يصفونها فى المخزن .

واخيرا نظر ريان الى المتطوعين وقال :

ـ والآن نبدأ العمل .

وانتقلت العلب بسرعة مذهلة من يد لأخرى من عربة الصليب الأحمر الى باب المخزن بينما القسيس وضابط ايطالى آخر يعدان العلب . وفى داخل المعسكر نظر الأسرى من نوافذهم يراقبون

المشهد المثير كما لو كانوا يراقبون سيركا وظهر الكولونيل بتجاليا ، والقى نظرة على العملية ثم عاد الى مكتبه راضيا .

أما داخل المخزن فقد كان الأسرى يرصون العلب وحينما وصل العدد الى ٤٨٢ صاح أحدهم :

ـ لقد تعبت جدا واعتقد اننا لن نفعل ذلك مرة اخرى .

ونظر اليه فينشام مبتسما :

ـ ولكننا لم ننته بعد .

ولأول وهلة لم يفهم الضابط ما كان فينشام يرمى اليه .. ففسر له فينشام قوله :

ـ سيكون لدينا ٩٦٤ علبة .

وصاح الأسير مغتبطا :

ـ أعتقد انني لم أتعب بعد .

ولاحظ باقي الأسرى ان عدد العلب يزيد عن نصف عدد الأسرى وانتقل التعليق من فم لأذن بأسرع مما تنتقل العلب من يد ليد وخرج الأسرى من عنابرهم واشتركوا جميعا فى العد وبدا صوتهم كما لو كان فرقة غنائية جماعية ، واخيرا حينما وصل الرقم الى ٩٦٤ ساد السكون فترة . ثم ارتفعت صيحة لم يسمع لها المعسكر مثيلا من قبل ..

وخرج بتجاليا من مكتبه مسرعا يستطلع الأمر وقال ريان ضاحكا :

ـ ان الأسرى يهتفون باسمك ويشكرونك . هل أنت راض عن العمل ..

ـ نعم .

ـ اذن يستطيع الرجال نقل الملابس من المخزن كذلك .

ولم يحر بتجاليا جوابا لفترة قصيرة ثم قال :

ـ حسنا ..

ونظر ريان الى جنوده ثم قال :

ـ استراحة وتستطيعون التدخين .

وبدأ بعض الأسرى يدخنون بينما بقى البعض الآخر ينظرون اليهم فى نهم . وأخرج ريان علبته فوجد بها ثمانى سجائر فنادى على بترسون وقال له :

ـ وزع هذه السجائر على الأسرى الذين لا يدخنون ولكن اياك أن تقل لهم انها سجائرى .

وقبل ان ينتهى الرجال من تدخين سجائرهم صاح أوريانى فى الأسرى :

ـ لقد انتهى العمل .. هيا تفرقوا .

وثار الأسرى فى وجهه ولكن ريان صاح فيهم :

ـ من سمح لكم بالخروج من عنابركم لقد سمعتم ما قاله الميجور . هيا تفرقوا .

واقترب القسيس من ريان وقال له :

ـ لقد كسبتهم ثم خسرتهم ثانية .

ورد ريان :

ـ أبت .. انا لا احاول الحصول على حبهم بقدر محاولتى الحصول على النظام .

الفصل السابع

بعد أسبوعين كان ريان قد احال المعسكر ٢٠٢ الى شيء مختلف كلية . فأصبح الأسرى منظمون يهتمون بنظافتهم . شعورهم مقصوصة وذقونهم حليقة . ينظفون عنابرهم مرة كل اسبوع ويحيون أورياني اذا ما مر بهم فيرغمونه على رد التحية .

ولم يجد ريان صعوبة فى اقناع بتجاليا بتحقيق بعض طلبات الأسرى فقد كانوا مطيعين منظمين . وبناء على وعد ريان بألا يحفر الأسرى أية أنفاق داخل الحمامات وافق بتجاليا على أن تفتح مرتان فى الأسبوع ولكنه رفض ان يعطيهم ماء ساخنا . ولم يعترض ريان بل رحب بما استطاع الحصول عليه وأرغم باقى الأسرى على الاستحمام مرتين فى الأسبوع بماء بارد .

وابتكر ريان شيئا آخر . فقد طلب من كل الأسرى مهما بلغت مرتباتهم ، اعطاءها الى لجنة تقوم باستغلالها لصالح المجموع فاستطاعوا شراء أمواس حلاقة وصابون وفرش وبعض البصل كى يستعمله الطباخ فى تقديم أنواع معينة من الأكل .

وفى الأسبوع التالى لتوزيع علب الصليب الأحمر أمر ريان الأسرى باعطاء علبهم الى الطباخ ليعد الطعام لهم جميعا . ولكنه استثنى السكر والشاى والمربى واللبن . فقد كان يعلم ان الأسرى يتبادلون هذه الأشياء حسب مزاجهم الشخصى أو لقاء خدماتهم لبعضهم البعض .

واعترض الأسرى على ذلك ولكنهم حينما ذاقوا الطعام اللذيذ الذى صنعه لهم برسفورد شكروه بشدة ولم يهتم أحد بشكر ريان.

وفى الأسبوع الثالث أحس ريان بأن الأسرى أصبحوا لائقين جسمانيا ونفسيا للقيام ببعض الألعاب الرياضية • فنادى على قواد الفرق العشرين وطلب منهم ان يدلوه على شخص يستطيع القيام بتدريبات رياضية . وسرعان ما علم أن بولس سميث الضابط المسئول عن الكانتين كان مدرسا للألعاب الرياضية قبل التطوع فى الحرب • فأعفاه ريان من مركزه وجعله مسئولا عن رياضة الأسرى .

وبعد طوابير الصباح اليومية كان الأسرى يقفون فى أماكنهم بينما يقودهم سميث فى القيام بتدريبات رياضية . ولم يعف أحد من ذلك الا المرضى الذين يوافق الدكتور شتاين على اعفائهم ..

وكالعادة رفض فينشام أن يتعاون . وفى كل صباح كان يجلس على باب غرفته ويضحك من الأسرى ويسخر منهم . وحاول ريان أكثر من مرة اقناعه بضرورة القيام بهذه التدريبات . ولكنه كان يرفض قائلا : « أنا لست أبله لكى اشارك فى هذه الألعاب الصبيانية » وفى كل يوم كان أوريانى يظهر فى الفناء لعدة دقائق ثم ينسحب الى حجرته .

وذات صباح اقترب أوريانى من ريان وقال له :

ـ أنى أعجب من انك لم تستطع اقناع فينشام بالاشتراك معكم هل هو خارج عن سلطتك ؟.

وصاح ريان بأعلى صوته :

ـ فينشام ان الميجور أوريانى يسأل عنك .

واتجه أوريانى الى حيث جلس فينشام وقال له بصوت يصل الى أذن ريان :

ـ يسعدنى حقا أن أجد بين كل الأسرى واحدا يستطيع ان يقاوم ريان .

ونظر اليه فينشام باحتقار فاستغل ريان هذه الفرصة وقال :

ـ فينشام ، أرى أنك قد وجدت صديقا .

ودون أن ينبس فينشام ببنت شفة قام من مجلسه وتوجه الى حيث كان باقى الأسرى وبدأ يشاركهم فى تدريباتهم .

وقد واظب على هذه التدريبات رغم تمام علمه بأن ريان قد استغل أوريانى فى اقناعه .

وبعد عدة أسابيع رأى ريان أن يقوم الأسرى ببعض التدريبات العسكرية ولكن أوريانى اعترض على ذلك وتمسك بنصوص ميثاق جنيف التى تحرم على الأسرى القيام بأى أعمال عسكرية أو حربية .

وفى اليوم التالى نادى أوريانى على جنوده وجعلهم يقومون ببعض التدريبات ثم بعد ذلك يتدربون على اطلاق الرصاص وكان ذلك يتم كل يوم تحت سمع وبصر الأسرى الذين كانوا يثورون كلما أحسوا أن الجنود يتقدمون .

الا أن ريان لم يتأثر بذلك . فكل أسباب ضيقه فى الآونة الأخيرة تلخصت فى احساسه المرير بأن هناك آلافا من البذات العسكرية المخزونة التى تنتظر أصحابها فى حين كان الأسرى يرتدون ملابس مهلهلة لا تليق بهم .

وذات يوم جاءه بترسون بقميص ممزق . وحين سأله ريان عن سبب ذلك لم يحر جوابا .

فقال ريان :

ـ ان الأسرى يسيئون معاملتك لأنك تابعى فهل تريدنى ان أعفيك ؟ .

ـ كلا . كلا يا سيدى فعملى معك شرف لى .

ـ اذن لا تقلق ، سأحصل لك على قميص جديد .

وخرج ريان الى وسط الفناء ووقف على كرسيه ثم دعا كل الأسرى . وبدأ حديثه :

ـ سادتي سوف نقوم الآن بلعبة تقليد نادي العراة وحينما أعطى الاشارة ، ستقومون جميعا بخلع ملابسكم كلها ثم وضعها في كومة كبيرة في وسط المعسكر وسيكون ذلك بمنتهى السرعة ولن يستثنى من ذلك سوى القسيس ، والآن ، هيا بنا .

وبدأ ريان يخلع ملابسه وتردد الأسرى ولكنهم حين رأوه يقف عاريا كما ولدته أمه خلعوا ملابسهم مثله بسرعة وحين وضعت كل الملابس القديمة في كومة كبيرة سكب عليها الطباخ بعض الجاز وأشعلت فيها النار .

وجاء أورياني ونظر وصعق فأمامه ألف رجل لا يسترهم شيء فجرى الى بتجاليا ، وجاء باقي الحراس وأخذوا يجرون هنا وهناك ويحاولون اطفاء النار ولكن ميعاد الغسيل كان قد انتهى ومن ثم قطعت المياه . وساد المعسكر الهرج والمرج ، وبدأ الأسرى الخجولين في أول الأمر يضحكون من الحراس وحيرتهم ، وضج المعسكر بأصوات الايطاليين المختلفة وضحكات الأسرى . ووقف بتجاليا يصرخ ويصدر الأوامر !

وأخيرا ترك ريان مكانه الى حيث وقف بتجاليا وقال له :

ـ كولونيل بتجاليا ما رأيك الآن في استخراج الملابس الجديدة من المخزن ؟ .

الفصل الثامن

توجه ريان راضيا الى الحبس الانفرادى فقد كان ككل الأسرى يرتدى ملابس عسكرية جديدة . كانت زنزانته لا تحتوى الا على سرير وكرسي وكان الحراس يتبادلون الحراسة كل ثماني ساعات.

وحرم ريان من السجائر ومنع من أى اتصال اللهم الا مع حراسه ولكنه كان يواظب مع ذلك على القيام بألعابه الرياضية مرتين في اليوم .. الا أن الرياضة لم تكن تشغل الا جزءا يسيرا من وقته ومن ثم فقد كان يجد متعة في التفتيش على حراسه . وبعد بقائه هناك مدة أيام كان حراس «الثلاجة» انظف وأكثر اعتناء بأنفسهم من كل حراس المعسكر الآخرين .

وفي اليوم الرابع لحبسه جاءه أورياني قائلا :

ـ لقد جئت لزيارتك والاطمئنان على صحتك . ولكن أشكرك أيضا فقد جعلت حراسك يعتنون بمظهرهم ايما اعتناء .

ـ هذه غلطتكم فأنتم لاتعطونهم الفرصة للظهور بالمظهر اللائق.

ـ كولونيل انك رجل متعلم وتحب النظام والنظافة ومع ذلك فتصرفاتك معي ينقصها الكثير من اللياقة والأدب فما هو السبب؟.

ـ السبب انني لا أحبك تماما كما لا تحبني أنت ولكنى احاول التظاهر بغير ذلك مثلك .

كان ريان لا يزال يجهل السبب الحقيقي لزيارة اورياني

وحينما بدأ أورياني الحديث ثانية لم يظهر ريان أية اهتمـام رغم شوقه لمعرفة كل الأخبار .

وقال أورياني :

ـ لقد وقع حادث طريف اليوم ، أتود معرفته ؟.

ـ لا بأس .

ـ لقد قام الأسرى بعمل دمية قبيحة من القش ووضعوا عليها لافتة كتب عليها « ريان الخائن » ألا تجد ذلك مسليا ؟.

ـ لا أستطيع الحكم على ذلك فأنا لم أرها بعد .

ـ قد تبقى في مكانها حتى خروجك .

ـ لا بأس . أريدك أن ترسل لى الكابتن شتاين .

ـ ولـكن ليس مصرح لك باستقبال الضيوف .

ـ ولـكن هل تحرمنى من الرعاية الطبية ؟.

ـ ولـكنك لا تبدو مريضا على الاطلاق .

ـ ان الدكتور شتاين يفحص رأسى مرة كل أسبوع وعليه فحصها اليوم .

ـ حسنا سأرسله لك .

وافق أورياني على ارسال شتاين لأنه كان يريد ريان أن يعرف بعض الحقائق عن المعسكر تلك الحقائق التي لم يستطع أورياني التصريح بها .

بعد لحظات جاء شتاين وقال

ـ ما الخبر يا كولونيل ؟.

ـ هذا هو ما أريد معرفته .. افحص رأسى فهـذا سبب وجودك ثم حدثنى عما حدث فى الخارج .

ـ ماذا تعنى يا سيدى ؟.

ـ لا تحاول اخفاء الأمر فأورياني لم يطق صبرا لاخبارى .. وأنا لا أهتم بهذه الدمية ولكن ما يهمنى هو سبب حقدهم على .

ـ ان ذلك يرجع غالبا لموضوع علب الطعام .

ـ ماذا بشأن علب الطعام ؟.

ـ لقد أعاد الكولونيل بنجاليا توزيع العلب بحيث يصل كل أسير علبة واحدة في الأسبوع . وذلك لأننا أحرقنا ملابسنا .

ـ لقد قلت غالبا ، فما هي الأسباب الأخرى ؟.

ـ لقد حرمهم بنجاليا من السجائر وأمرهم بالوقوف طوابير أربع مرات يوميا بدل مرتين . وأصبح يطفىء الأنوار قبل ميعادها بساعة .

ـ أكمل حديثك فأنا أعرف أن هناك الكثير . فقد كان أوريانى سعيدا للغاية فلابد ان هناك سببا لذلك .

ـ حسنا لقد ...

ـ لا تتردد هيا اخبرنى بكل ما حدث .

ـ لقد عاد الأسرى الى حالتهم الأولى من الفوضى وقلة الاعتناء بالنظام والنظافة .

ـ ألم يحاول فينشام ابقاءهم على المستوى الذى حاولت جاهدا حتى وصلوا اليه ؟ .

ـ كلا .. وهم لا يقومون بتدريباتهم الرياضية .. فيونس سميث يقف هناك كل صباح فى انتظار حضورهم ولكنه غالبا ما يقوم بالتدريبات وحده .

ـ حسنا ... والآن عليك أن تبلغ فينشام أمرا صادرا منى له . عليه أن يعيد النظام والحالة الى ما كانت عليه قبل دخولى « الثلاجة » وانا أعده مسئولا أمامى عن اى فوضى او خطأ اجده حين خروجى . ثم أريدك بعد ذلك أن تبلغ اوريانى أننى أريد رؤية الكولونيل بنجاليا .

وابتسم شتاين .

ـ لم تبتسم ؟ . هل اهذى ؟ .

ـ كلا ولكنى لا استطيع التعرض لأوريانى فلسنت فى مثل قوته أو مركزه .

ـ كل ما عليك هو توصيل رغبتى اليه . والآن اريد ان اسألك سؤالا أخيرا :

ـ هل تشبهنى بتلك الدمية ؟ .

ـ كلا فهى تشبه امراة حامل .

ـ ان هؤلاء الضباط الحمقى لا يجدون فعل شيء .. حسنا يمكنك الانصراف الآن .

حاول شتاين جهده اقناع أوريانى بضرورة مقابلة ريان لبنجاليا ولكن أوريانى رفض رفضا باتا .

وبعد أسبوع أفرج عن ريان رغم توقعه لمدة عقاب أطول . ولكن يبدو أن السبب الحقيقى فى الافراج عنه هو رغبة بنجاليا فى استتباب النظام مرة أخرى . وقد وضح هذا السبب لريان فى يوم خروجه .

فبينما هو يسير الى مكانه فى طوابير الصباح رآه أورد فصاح :
ـ لقد عاد ريان .

وتذمر الرجال ولكن ريان لم يبد اى حراك بل سار الى مكانه فى هدوء .

وقال أوريانى بصوت عال :

ـ مرحبا بالكولونيل .. هل تمتعت باجازتك ؟ .
ـ نعم بلا شك ..

ـ وهل رأيت ما فعله الأسرى تكريما له ؟ .
وأشار أوريانى الى الدمية .

وابتسم ريان وقال :
ـ ان الدمية افضل من صاحبها .
وضج الأسرى بالضحك .



بعد طابور الصباح توجه فينشام الى ريان ليحاول الترحيب به ولكن ريان نظر اليه مغتاظا وقال :

ــ هلا صحبتني الى حجرتي ؟ . فلدى الكثير لأقوله لك .

تعجب فينشام من هدوء ريان وقال :

ــ لقد غيرت الثلاجة من أخلاقك بلا شك .

وفي الحجرة جلس فينشام على الكرسي الوحيد . بينما وقف ريان يوجه اليه التهم :

ــ كولونيل فينشام أهنئك فقد هدمت في أسبوع ما انجزته انا في شهر .

ــ لا تهنئني فقد عاد المعسكر الى حاله بسبب تصرفك انت .

ــ انا لا أتحدث عن الاجراءات التعسفية التي اتخذها بتجاليا ردا على تصرفاتي فأنا المسئول عنها ولكنك مسئول عن النظام .

ــ انك لا تأمرني هنا .. فرتبتك لا تسمح لك باهانتي .

ــ انني لا أهينك ولكنني أعدك مسئولا عن الفوضى المتفشية هنا ..

ــ من حسن حظك انني لا اضرب الجرحى .

ــ بل من حسن حظي انك عرضت على مبدأ الضرب .. هيا بنا ..

تقدم فينشام متحفزا لضرب ريان . ولكن ريان بحركة بسيطة جدا ألقاه أرضا .

بعد عدة لحظات فتح فينشام عينيه وتساءل !

ــ ماذا حدث ؟ .

ــ لا شيء لقد هزمتك .. والآن هيا بنا نتصافح فشجارنا هذا كان مجرد تنفيس عن الكبت الذي نعاني منه .

لم يعد ريان كما كان . واعتقد الأسرى انه استسلم لهم فتمادوا في الفوضى . أما بترسون فقد كانت عيناه دائما مملوءتان برجاء غير

منطوق فى ان يمسك ريان بزمام الأمور مرة أخرى . ولكن ريان لم يكن يعير نظراته تلك اى اهتمام .

بعد ثلاثة أيام جاء القسيس الى ريان وسأله :

ـ ماذا بك يا كولونيل ؟ .

ـ لا شيء فأنا على ما يرام .

ـ ولكنك لم تعد تهتم بالمعسكر .

ـ أعتقد ان ذلك يرضيك .. ألم تقل لى أكثر من مرة انني أقسو عليهم ؟ .

ـ صحيح ولكنهم الآن أسوأ حالا مما كانوا عليه قبل مجيئك... هل هذا هو ما ترمى اليه ؟ . أن تجعلهم اسوأ مما كانوا .

ـ لقد سمعت ما يقوله الأسرى عنى ... لقد تخلى ريان عن شجاعته فى الثلاجة ..

ـ ولكن هذا غير صحيح فأنت لا تزال شجاعا . وأنا لا أفهم سبب تصرفك ولكن لا بد أن لها سببا معقولا .

ـ أشكرك يا أبت لثقتك فى ..

فى الصباح التالى اجتاحت المعسكر اشاعة قوية بأن الايطاليين قد منوا بخسائر جسيمة فى الحرب . وقد أكدت هذه الاشاعة تصرفات أوريانى . فقد كان ساخطا متوتر الأعصاب أما فلافى الذى أحاط به الأسرى فقد بدا قلقـــا ولم يستطع الاجابة على أسئلة الأسرى المتلاحقة . ولكنه استطاع أن يهمس للقسيس بشيء ما .

والتف الأسرى حول القسيس يحاولون معرفة حقيقة ما حدث ولكن القسيس قال لهم انه وعد فلافى بعدم افشاء أية أسرار ولكنه اتجه فورا الى حيث كان ريان وقال له :

ـ لقد عبرت قواتنا مضيق مسينا ونزلت بارض ايطاليا لقد سمعت الخبر من فلافي •

وقال ريان متخوفا :

ـ هذا ما كنت أخشاه فلو ان قواتنا نزلت بالشمال لكان ذلك أفضل لنا مائة مرة •

ـ ولكنى أعتقد ان نزول قواتنا على أرض ايطالية يعتبر نصرا لنا •

ـ فعلا فسوف يضطر بتجاليا للتعاون معى •

وقطع حديث ريان والقسيس صراخ الأسرى فخرجا لاستطلاع الأمر • كان الأسرى يقفون بالقرب من باب المعسكر ويهتفون • كان جليا ان الأسرى قد عرفوا بالخبر وأن ثورتهم هذه لن تخمد • وتزايد الصراخ وانهالت الشتائم على أورياني •

وحينما تمادى الأسرى في صخبهم خرج أورياني لهم وقال :

ـ تفرقوا فورا •

وحينما لم يهتم الأسرى بطاعته نادى على جنوده وأمرهم بتوجيه أسلحتهم نحو الأسرى •

وقال اذا لم تتفرقوا بعد أن أعد ثلاثة فسوف يطلق رجالى النار عليكم :

ـ واحد •••

توقف الهرج والمرج ونظر الأسرى في شك الى الجنود المسلحين •

ـ اثنين •••

بدأ الأسرى يتراجعون •

وجاء ميعاد طابور الصباح • ورفض الأسرى تنفيذ الأوامر • ونظر أورياني الى ريان كمن يقول له « ألا تستطيع السيطرة

على ضباطك ، وحينما تجاهل ريان نظراته كلية لم يجد مناصا من استدعاء جنوده مرة اخرى للمحافظة على النظام •

بعد الطابور جاء فلافى الى حجرة ريان ليبلغه أن الكولونيل بتجاليا يطلب مقابلته ثم قال له :

ــ ان أخبار هذا الصباح حسنة أليس كذلك •؟

فرد ريان :

ــ نعم لكن مع أى جانب أنت ؟•

ــ مع ايطاليا ولست مع النازيين والفاشيست •!

ــ حسنا هيا بنا فالكولونيل بتجاليا ينتظر •

حينما دخل ريان على الكولونيل بتجاليا كان الأخير يجلس على مكتبه والشرر يتطاير من عينيه وقال محنقا حينما رأى ريان:

ــ كولونيل ريان •• ألم تضمن لى حسن سير الأسرى وسلوكهم إذا تعاونت معك ؟•

ــ انك لم تعطنا ما ليس حقا لنا بمقتضى ميثاق جنيف •!

ــ حسنا • لقد خذلتنا أولا بحرق الملابس وثانيا بعدم المحافظة على النظام بعد الافراج عنك • والآن أريد أن أحذرك ان مركزكم سيء للغاية فجيوشكم على أرضنا وكل من يعتقد أنه بذلك انتصر ويستطيع مخالفة النظام سيعاقب عقابا شديدا •

ــ وما الذى تنتظره منى ؟•

ــ عليك المحافظة على النظام بأى شكل •!

ــ هل تهددنى ؟•

ــ نعم وعليك تقع مسئولية ما يحدث •!

ــ ولكنك قد أضعفت سلطاتى على الأسرى فقد عاقبتهم على فعل شيء أشرت أنا به عليهم . وأنا لا اعترض على عقابك لى ولكنى أعترض على عقابهم هم •

ـ لاتحاول اقناعى او التدخل فى شئونى فانا اعلم تمـاما انك سمحت للفوضى بالانتشار واغفيت عينك عن النظافة حتى تستطيع أن تتساوم معى • ولكنى لن أسمح بذلك • فبلدى تمر بفترة عصيبة وانا أريدك أن تقدر ضرورة المحافظة على النظام هنا فى مثل هذه الظروف . والآن تستطيع الانصراف •

حين خرج ريان توجه الى فينشام وقال له :

ـ ادع الأسرى الى خارج العنابر فأنا أريد التحدث معهم •

وابتسم فينشـام وقال له :

ـ أنهم لن يطيعوا •

ـ فينشام لقد أصدرت اليك أمرا عليك تنفيذه •

بعد فترة ليست بالقصيرة تجمع الأسرى فى صفوف غيرمنتظمة ووقفوا يتحدثون فقد اعتادوا ذلك بعد فترة غياب ريان •

وقف ريان على كرسيه فى الوسط ثم قال :

ـ سادتى • لقد حان ميعاد العمل •

الفصل التـــاسع

اتهم فينشام ريان بالتعاون مع الاعداء ذلك أن عودة النظام الى المعسكر أتبعها عودة علب الأكل الكاملة • ولكن ريان حاول ان يفسر له وللميجور ويمبرلى بعض ماخفى عنهما حينما اجتمما فى حجرته فقـــال :

ـ لقد منحنا بتجاليا العلب الكاملة لانه يعلم أن الهـــزيمة التى لحقت بالجيش الايطالى ستجعل الجو متوترا • وهو يعلم أن أى تمرد يعنى القضاء علينا جميعا •

وتعلمل ويمبرلى فى مكانه فقد كان يكره تلك المناقشات الحادة بين ريان وفينشام ذلك انه كان يخشى أن يطلب منه مســـــاندة أحدهما •

وأكمل ريان حديثه غير عابىء بتعليقات فينشام اللاذعة :

ـ اننى وبتجاليا لانعلم كيف ستسير الأمور • فقد ينزل جنودنا فى الشمال وننقذ بسرعة أولا ينزلون ويكتفون بالجنـــوب وهنـــا سنضطر للبقاء أسابيع قد يصل الألمان خلالها ونصبح اسرى لهم • ومن ثم يجب ان نركز كل جهودنا لمعـــرفة ماإذا كان الايطـــاليون سيحاولون نقلنا من هنا اذا ما اقتربت قواتنا •

ـ وهل تعتقد أنهم قد يحاولون نقلنا فعلا ؟•

ـ طبعا أنا أفضل البقاء هنا حتى نعود الى الوطن ولكننى لا أدرى

كيف سيتصرفون أن لدى بعض الخطط ولكنى أريد سماع آرائكم اولا .

وتساءل فينشام

ـ هل تعتقد أننا قد نضطر الى الهرب كلنا معا ؟.

ـ ان ذلك لن يجدى فسيتبعنا الالمان . يجب ان يكون هروبا مستورا .

ـ أتعنى عبر النفق ؟.

ـ نعم يجب الاسراع فى اتمامه . أريد خريطة للمنطقة هنا . وأريد نسخة منها لكل قائد فريق . وأريد مراقبة الطريق العام حتى نعرف كل مايجرى حولنا وتدوين كل شىء .

ورد فينشام

ـ حسنا سأضع بعض رجالى فى أعلى العنبر «جـ» فهناك تبدو أجزاء من الشارع ونستطيع رؤية أية تحركات عسكرية .

وأجاب ريان :

ـ حسنا سأحاول اقناع القسيس باستقصاء بعض المعلومات من فلافى .

انفض الجمع كل لمهمته وذهب ريان لمقابلة القسيس وحين رآه يتجول فى الفناء قال له :

ـ ابت اننى فى حاجة اليك .

ـ ماذا تطلب يابنى .

ـ أريدك ان تكون دائما بالقرب من فلافى . على أن تحاول التحدث معه عن الاحداث الجارية . ذلك اننا نريد ان نعرف بأسرع ما يمكن ما اذا كان الايطاليون سيرحلوننا من هنا .

ـ حسنا يابنى سأحاول و ..

تركه ريان وتوجه الى المطبخ ثم وجه حديثه الى برسفورد فقال :

ـ من الآن فصاعدا عليك بالاحتفاظ بكل الشيكولاته ونصف السكر والبسكويت الذى نحصل عليه من الصليب الأحمر . والامتناع كلية عن تقديم البقول والفاكهة المجففة . على أن تحفظ هذه المواد فى علب الصفيح الفارغة وتوزع على رؤساء الفرق . على أن تحتفظ بسجل واف لكل ماتعطيه .

ـ سيدى ولكن ذلك يعنى اننا لن ناكل حلوى يوم الاحد .

ـ لابأس فالحلوى لاتهم كثيرا الآن .

وفى الأيام التالية لم تصلهم أية أنباء سواء من ملاحظى الطريق أو من اقوال فلافى بينما سار العمل فى النفق بأسرع ما يمكن . وقد قررت لجنة الهرب ان النفق قد يصل خارج السور بعد عشرة أيام .

وبعد مرور خمسة أيام من نزول قوات الحلفاء فى الجنوب استدعى الكولونيل بتجاليا ريان :

وحين ذهب ريان لمقابلته وجده يجلس فى حجرته مكتئبا ولم يرحب به وأخيرا قال :

ـ كولونيل ريان انه لمن سوء حظى أن أخبرك أن ايطاليا قد استسلمت .

وتمالك ريان نفسه فلم يصرخ فرحا بل قال بهدوء :

ـ كولونيل بتجاليا . لعل ذلك يخفف من حدة الخسائر التى منيت بها بلدكم وأنا أقدر وأحترم شعورك .

واكمل الكولونيل بتجاليا حديثه المشحون بالشجن وقال :

ـ أن الميجور اوريانى وحده يعلم ماحدث . وفى خلال ساعة سوف أخبر باقى الجنود وآمل أن تخبر أنت الاسرى فى الوقت نفسه وان تراعى عدم حدوث أية اشكالات أو حوادث .

ـ حسنا أعدك بذلك . . ولكن ماذا بشأن انضمامنا لقواتنا ؟

ـ انني لم أتلق أوامر بشأن ذلك بعد ومن ثم فأنا مسئول عن سلامة الجميع حتى يتم التصرف في شئونكم .

ـ حسنا ستسير الأمور كما كانت . وبعد اطلاع ضباطي على آخر تطورات الموقف سأحضر اليك لنتحدث في شئون ادارة هـــذا المعسكر . واغلب الظن اننا سنكون في حاجة لمعاونتك . وأنا اعدك اننا سنحسن معاملتكم اذا ماجاءت جيوش الحلفاء .

ـ لايهم مايحدث لي ولكنني آمل أن تبسط حمايتك لجنودي فالشعور بالمرارة متفش بين الأسرى وقد يعتدون على الايطاليين .

ـ أعدك بذلك وسأعود اليك للتفاهم حالما انتهى من اخبـــار الأسرى .

خرج ريان مسرعا واستدعى فينشام ويمبـــرلي والقسيس ويترسون ثم قال للأخير .

ـ عليك الوقوف بالباب ولاتسمح لأي شخص بالاقتراب فاذا ماضايقوك فنادي بأعلى صوتك .

وساد التوتر داخل الحجرة وبادره فينشام بالسؤال :

ـ ماذا حدث .. هيا أخبرنا سريعا . ماذا حدث ... لمـــاذا استدعاك بتجاليا ؟ .

وقال ريان بهدوء وهو يحاول التماسك :

ـ سادتي لقد استسلمت ايطاليا .

صرخ فينشام وقفز ويمبرلي من مكانه وخفض القسيس رأسه في صـــلاة شـــكر .

انتظر ريان حتى سكنوا ثم قال :

ـ سيخبر بتجاليا جنوده في ظرف ساعة وعلى أن أخبر باقي الأسرى في نفس الوقت .

وسأله ويمبرلي خجلا :

ـ سيدي ومتى نرحل ؟.

ـ أن بتجاليا نفسه لا يعلم بعد .. والآن أريدكم أن تجمعوا الأسرى فى صالة الأكل ولا أريد أن يتفوه أى منكم بكلمة للاسرى . والآن هيا بنا ..

كان القسيس ما زال يصلى وحين انتهى قال له ريان :

ـ أبت .. بعد اذاعة النبأ ستقودنا فى صلاة شكر .

وابتسم القسيس وقال :

ـ هل اجتاحك نور الايمان فجأة أم انك تحبذ الصلاة لتمنع الثورة ؟ .

ـ قليل من هذا وقليل من ذاك .

بعد انصرافهم استدعى ريان بترسون الذى كان يقف فى مكانه للحراسة وقال له :

ـ بيلى .. لقد استسلمت ايطاليا .

وفتح بترسون فاه ولم ينطق .. ثم ابتسم وصرخ :

ـ ماذا حدث ؟ . هل صعقت لأنى خاطبتك باسم الدلل ؟ .

ـ سيدى .. نعم .. ولكن .. لم أكن أتوقع أن تستسلم بهذه السرعة .

انتظر ريان الى ان تجمع الرجال واستدعاه فينشام . كانت القاعة تضيق بهم وبقلقهم المتزايد . وحين دخل ريان سكنوا فى انتظار تعليماته فقال :

ـ سادتى أرجو أن تتصرفوا بهدوء الناضجين حيال ما سأخبركم به ..

ـ سادتى .. لقد استسلمت ايطاليا .

ولفترة عم سكون قاتل ثم فجأة ارتفعت الصرخات المدوية والنكات والضحكات وبدأ الأسرى يتصافحون ويربتون على أكتاف بعضهم البعض . وحينما خفتت أصواتهم بعد فترة قصيرة سمعت

أصوات المرح من الجنود الايطاليين . ذلك أن الايطاليين أنفسهم لم يكونوا مقتنعين بهذه الحرب . وحينما سكنت الأصوات كلية استأنف ريان حديثه :

ـ سنتحدث في التفاصيل بعد أن يقودنا الأب القسيس في صلاة شكر .

بعد الانتهاء من الصلاة الجماعية واجه ريان الأسرى فقال :

ـ انني لا أعلم متى نستطيع الرحيل من هنا . فخروج ألف أسير مرة واحدة في بلد استسلمت منذ ساعات قد يكون مثيرا للشعب المهزوم بل وقد يندفع في محاولات للتخلص منا أو الاعتداء علينا .. والآن سادتي يمكنكم الانصراف في هدوء .. على ان يبقى رؤساء الفرق للتشاور .

انصرف الأسرى وهم ينشدون بعض أناشيدهم الوطنية وأغلق يترسون باب صالة الأكل وواجه ريان رؤساء الفرق .

الفصـــل العاشر

كان رؤســاء الفرق يجلسون قلقين في انتظار باقى تعليمات ريان • فبدأ حديثه :

ـ فينشام وويمبزلى أرجو أن ترسلوا أحسن ضباط اللاسلكى لديكم الى مقر بتجاليا ليحاولوا الاتصال بقوات الحلفاء على أن يكون ذلك دون لفت نظر الألمان الى مكاننا • أما أنت يا ميجور جريسلس فعليك باحضار بعض الأنفار لكى ينقلوا معونة الصليب الأحمر الى داخل المعسكر • على أن يقوم بعض الجنود الايطاليين بالحراسة في حالة ما اذا مر بنا بعض الألمان •

وتساءل أحــدهم :

ـ وماذا عن النفق ؟•

ـ استمروا فقد تضطرنا الظروف اليه •• أما أنت يا دكتور شتاين فعليك برصد اسماء كل الأسرى الذين يحتاجون الى رعاية طبية حتى نقوم بذلك فى أسرع وقت •

واقترب القسيس وقال على استحياء :

ـ سيدى الكولونيل اننى لم أذهب الى الكنيسة منذ أكثر من عشرة شــهور فهل تسمح لى بالذهاب الى دوميرا للصــلاة فى كنيستها ؟ •

ـ لا بأس على أن تذهب بملابس اللاهوت • وعليك أثناء ذلك استقصاء اية اخبار ترى أنها قد تهمنا •

ـ حسنا يا سيدى وشكرا »

وأكمل ريان حديثه لبقية الضباط فقال :

ـ سادتى أريدكم أن تبذلوا قصارى جهدكم حتى يسود النظام وأخبروا الأسرى أن أى واحد منهم يفكر فى الهرب أو فى الذهاب الى دوميرا يعرض نفسه لمحاكمة عسكرية بعد انتهاء الحرب »

وتساءل فينشام :

ـ وماذا عن الحراس الايطاليين هل سيستمرون فى تهديدنا بالسلاح ؟»

ـ كلا وأرجو ألا تثقلوا عليهم كفاهم ما بهم من ذل الهزيمة .. والآن سادتى الى اللقاء .

انفض الجمع وخرج فينشام وريان الى فناء المعسكر حيث تجمهر بعض الأسرى وبعض الجنود الايطاليين يراقبون عملية نقل معونة الصليب الأحمر . وفجأة ظهر أوريانى وساد التوتر فبدأ الأسرى ينتقون الشتائم اللاذعة والاتهامات المخجلة ويصبونها عليه . واقترب ريان وقال له ساخطا :

ـ ميجور . ألا ترى خطورة ظهورك الآن ؟»

وابتسم أوريانى ابتسامة ماكرة وقال :

ـ لقد كنت أتوقع أن يتصرف رجالك كأسياد لا كحيوانات »

وقاطع فينشام محتدا وقد شمر عن ساعديه :

ـ سأريك كيف يتصرف السادة يا ...

وأمسك فينشام بتلابيب أوريانى وبدأت معركة شهدها الجميع واجمين وأخيرا تدخل ريان وأبعد فينشام وأمسك بأوريانى وقال له :

ـ اخرج من هنا واياك والحضور دون أن أستدعيك فوجودك هنا خطر عليك وعلى جنودك وعلى ضباطي هيا . ثم وجه ريان

حديثه للأسرى : « اذا جرؤ أحدكم على تخطية ذلك الباب ومتابعة الميجور سيقدم للمحاكمة فورا •

ورغم أن ريان كان يهدد للمرة الأولى فان الرجال لم يلاحظوا ذلك بل بدأوا يتراجعون في هدوء وذلك أنهم كانوا قد اعتادوا طاعته • أما فينشام فقد اقترب منه وقال له محنقا :

ـ لم فعلت ذلك ؟•

ـ حينما تعود الى وعيك ستشكرني فقد أنقذتك من قتله والتعرض لمحاكمة عسكرية •

اتجه ريان الى بنجاليا وطلب منه ضرورة الاتصال بقادته لسؤالهم عن كيفية تصرفه حيال الأسرى • وذلك أن ضباط اللاسلكى الذين كلفهم ريان بالاتصال بجيوش الحلفاء لم يصبهم النجاح •

حينما عاد القسيس في المساء أخبر ريان بأن الايطاليين أحسنوا معاملته وأنه رأى كثيرا من القوات الألمانية •

وفى الصباح التالى استيقظ ريان مبكرا وخرج من حجرته يستنشق هواء الصباح العليل . ونظر حوله كان المكان خاليا لأول مرة منذ حضوره ولم يكن يسمع فيه اى صوت رغم أن المبانى كانت مليئة بالأسرى والجنود . ولكن الهدوء كان شاملا . وأحس ريان أن هذا الهدوء غير طبيعى فذهب الى البوابة فلم يجد عليها حراسا واتجه الى باقى أكشاك الحراسة فوجدها خالية . واذ هو يفكر رأى الملازم فلافى يجرى نحوه دون أن يكمل ارتداء ملابسه فبادره بسؤاله :

ـ ماذا حدث ؟ . أين الحراس ؟ .

ـ لقد غادر الجميع المعسكر اثناء الليل . وكذلك فعل الكولونيل بنجاليا ولكنه سيعود حالا •

ذهب ريان الى فينشام وأيقظه ثم اصطحبه الى بتجاليا الذى كان قد حضر توا . فسأله ريان :

ـ ماذا حدث ؟ . لماذا هجر جنودك أماكنهم ؟ .

ـ لا ادرى . . انه شيء مخجل للغاية .

وتدخل فينشام فقال :

ـ لابد أن أوريانى أقنعهم باصطحابه وليحارب مع الالمان .

ـ لا اعتقد فأوريانى لم يكن محبوبا ثم ان قليلا جدا من الحراس يؤمنون بالفاشية .

ـ حسنا كولونيل بتجاليا .. هل تعتقد أن الألمان قد يصلون الينا ، ويرحلون من هنا ؟ .

ـ لا أعتقد أنهم سيرحلون فذلك أمر صعب للغاية فكل وسائل النقل مشغولة فى نقل جنودهم وعتادهم .

ـ اذن بما أننا سنبقى فضع بعض جنودى بملابس ايطالية ليقفوا مكان الحراس على أن تعطينى كلمة شرف ، ألا تجعل الالمان فى دوميرا يحسون ذلك .

ـ حسنا ..

انصرف فينشام وريان وقال فينشام :

ـ ما جدوى بقاءنا هنا ؟ .

ـ ان عددنا كبير وظهورنا الآن كما سبق أن قلت خطر . فليس أمامنا سوى الانتظار ولو لفترة الأربع والعشرين ساعة التالية فاذا لم تصلنا أية انباء من قوات الحلفاء فلدى خطة سننفذها لمغادرة هذا المكان فى مجموعات . هل لديك اعتراض على ذلك ؟ .

ـ ما هذه الخطة ؟ .

ـ سنغادر هذا المكان فى النهار . يحرسنا بعض جنودنا فى زى الايطاليين وسنصحب معنا فلافى فاذا ما سئل قال انه يصحبنا

الى معسكر آخر للاسرى وبعد مغادرة دوميرا ننقسم الى عدة مجموعات كل تشق طريقها الى قوات الحلفاء فى الجنوب .

ـ ولم لا نفعل ذلك الآن ؟ .

ـ لأنها خطة خطيرة قد تعرض حياة الكثيرين للخطر ولن نلجأ اليها الا فى الضرورة . وذلك اذا لم تصلنا أية أنباء فى ظرف أربع وعشرين ساعة .

ـ حسنا سأمنحك هذه الفرصة وأوافق .

فى تلك الليلة نام الأسرى البريطانيون والأمريكيون فى حراسة زملائهم الذين أعطاهم ريان أسلحة وذخيرة وأمرهم باستدعائه اذا ما حاول أحد الأسرى الهرب أو أحد الأغراب الاقتراب من المعسكر ..

الفصل الحادى عشر

استيقظ ريان على صوت يهمس فى أذنه ويقول :
ـ هل أنت الكولونيل ريان ؟ .
ـ من أنت ؟ .
كان الظلام حالكا فلم يستطع ريان تبين ملامحه .
ـ أنا الميجور هامبتون .
ـ ولكن لا يوجد ميجور هامبتون فى المعسكر ٢٠٢ من أنت ؟ .
ـ أنا الميجور هامبتون . هل أنت الكولونيل جوزيف ريان .
ـ نعم من أين أتيت ؟ .
ـ عبر الحائط .
وبسط يده التى كانت تنزف ثم قال :
ـ ان أحدا لم يهتم بأخبارى بكسر الزجاج على السور .
ـ ولماذا جئت ؟ .
ـ سيدى ان لدى أوامر من قوات الحلفاء .
ـ حسنا وكيف عرفت مكانى ؟ .
ـ لقد أيقظت أحدهم فى أحد العنابر .
ـ هل لديك دليل على أقوالك وشخصيتك ؟ .
ـ كلا ولكننى أمريكى بلا شك وتستطيع أن تسألنى عن أى شىء فى نبراسكا بلدتى .
ـ حسنا ما اسم فريق كرة القدم بها ؟ .

ـ كورنهكرز وفريق كاليفورنا اسمه كولدبير وفريق تكساس اسمه ٠٠٠

ـ هذا فيه الكفاية ومرحبا بك في المعسكر ٢٠٢ ٠

ـ سيدى اننى أكاد أموت عطشا ٠

ـ حسنا خذ هذه ٠

وأعطاه ريان زجاجة ماء كان يحتفظ بهـــا بالقرب من سريره ثم ســـأله :

ـ والآن ما هى التعليمات ٠

وبدأ الميجور هامبتون يذكر التعليمات كما لو كان قد حفظها عن ظهر قلب فقال :

ـ تدل رسائل اللاسلكى الألمانية التى استطعنا التقاطها أن هذه المنطقة سوف تخلو من القوات الألمـــانية فى ظرف ثلاثة أيام ٠ وقاطعه ريان متسائلا :

ـ ثلاثة أيام منذ تركتهم أم منذ وصولك اليوم ٠

ـ من اليوم يا سيدى ٠ هـــذا ويطالب قادة جيوش الحلفاء بالبقاء هنا ساكنين حتى يتم اخلاء المنطقة من الألمان ٠ على ألا نثيروا من الشعب ما يلفت اليكم الأنظار ، كالتنابز بالألفاظ أمام القوات المتراجعة و ٠٠٠٠

ـ هـــل يعتقد الرؤساء اننا قد نثير أو نهين القوات المهزومة أو المتراجعة فنجر على نفسنا الويل . ان قادتكم أمرهم عجيب حقا .

ـ هـــذا صحيح وقـــد عجبت أنا نفسى لهذا الأمر ٠ ولكنها التعليمات يا سيدى وأخيرا فان السلطات تهنئكم بالحرية ٠

نظر ريان الى ساعته كانت حوالى الخامسة صباحا ٠ والتفت ريان الى ميجور هامبتون وقال له :

ـ نم فى سريرى ٠ فلدى الكثير من الأعمال وسأدعو الطبيب ليرى يدك ٠

ـ انها على ما يرام فقد كنت في عجلة من أمرى • ذلك انني لم أكن أعرف ان كان الحراس ايطاليين أم ألمان •

ـ انهم بريطانيون وأمريكيون •

ـ ماذا ؟ •

ـ ان مخابراتكم متأخرة أربعا وعشرين ساعة فقد هجر الحراس الايطاليون المعسكر ليلة أمس • وقد وضعت بعض الأسرى مكانهم وألبستهم ملابس ايطالية حتى نخدع قوات الألمان المتراجعة •

ـ انها خطة رائعة وستمنع الألمان من التدخل •

ـ أملي كبير في ذلك على الأقل الآن وبعد أن أمرنا بالبقاء •

ارتدى ريان ملابسه بسرعة وجرى الى عنبر بترسون ثم أيقظه بهدوء ووضع يده على فمه حينما كان على وشك الصراخ من الدهشة • ثم أمره بايقاظ الدكتور شتاين وارساله الى حجرته ثم ايقاظ ويمبرلى واحضاره الى حجرة فينشام •

جرى ريان الى حجرة فينشام وأيقظه وقص عليه ما حدث ثم عاد وقص علينا ما حدث مرة اخرى حينما جاء ويمبرلى وبترسون •

وأخيرا قال فينشام :

ـ أرى ألا نلتفت الى الميجور هامبتون ونقوم بتنفيذ خطتنا السابقة •

ـ ونتجاهل تعليمات الرؤساء التي تبدو لى معقولة ؟ كلا فليس لدينا الآن سوى الطاعة •

حينما أشرقت شمس الصباح كان الضابط الذى أيقظه هامبتون ليسأله عن مكان ريان قد أذاع ما حدث وحينما حان ميعاد طابور الصباح اصطف الأسرى بسرعة وفي غير نظام وبدت على وجوههم أثار القلق • ولأول مرة تجاهل ريان النظام ووقف على كرسيه كالعادة ووجه حديثه لهم :

ـ لقد جاءنى اليوم ضيف عزيز من قوات الحلفاء • وهم يدبرون أمر رحيلنا من هنا في مدى ثلاثة أيام •

وانتظر ريان فترة الى أن خفتت ضجة الأسرى ثم أكمل حديثة :

ـ ان الألمان يتراجعون وأى واحد منكم يلفت نظرهم الى هـذا المكان سوف يحاكم بتهمة الخيانة والتعامل مع الأعداء • وأملى كبير فى أن تحافظوا على الهدوء ولا تعلقوا بأصوات عالية على الجيوش المنسحبة والآن يمكنكم الانصراف وأملى كبـير فى أن تحافظوا على الهـدوء •

سر الكولونيل بتجاليا ايما سرور حينما أخبره ريان بالتعليمات التى وصلته وذلك لأنه كان لا يريد البقاء فى معسكر فقـد فيه سلطته وان لم يفقد احترامه •

حينما انتهى ريان من مقـابلة بتجاليا كان برسفورد ينتظره ليسـأله ما اذا كان من الممكن استعمال المواد المخزونة فى اقامة حفل من الطعام الشهى :

ورد ريان مبتسما :

ـ لا حاجة بنا الى أى مخزون • فبعد يومين ننضم الى جيوشنا ••• ولا تنس أن تجعله حفلا ممتازا •

أمضى الميجور هامبتون صباح اليوم التـالى فى النوم وحينما استيقظ قرب الظهيرة اصطحبه ريان معه الى صالة الأكل •

أثناء تناول الطعام تساءل هامبتون :

ـ هل تأكلون هذا الطعام الفاخر كل يوم ؟ •

ـ طبعا لا فما تأكله الآن هو ما نأكله عادة فى بضعة أيام ولكننا اليوم نحتفل بالأخبار السعيدة التى حملتها الينا •

بعد الغداء التف الأسرى حوله وأمطروه بأسئلتهم عن الحالة الراهنة وموقف جيوش الحلفاء وانتصاراتهم الأخـيرة ثم تحولت أسئلتهم الى الرياضة وآخر مباريات البيسبول ومن الذى انتصر • وآخر أخبار هوليود وهل صحيح أن أمريكا تعانى نقصا فى الرجال وأن لكل رجل عائد امرأتين و ••• و ••••

وبعد الغداء سأل هامبتون ريان اذا كان لديه أية رسالة يريد توصيلها لقوات الحلفاء •

قال ريان متحمسا :

ـ قل لهم أن يسرعوا وأخبرهم اننا جميعا بخير •

وحينما حل المساء رحل الميجور هامبتون متسترا •

فى اليوم التالى أعفى ريان الأسرى من القيام بألعابهم الرياضية وبذل مجهودا وعناية أكبر فى التفتيش عليهم قائلا لهم انه يريدهم أن يتركوا المعسكر فى هيئة ضباط محترمين • ومن ثم أمضوا اليومين التاليين فى رتق ملابسهم وقص شعورهم وحلق ذقونهم والحديث الذى لا ينقطع عن سفرهم وأسرهم وقوات الحلفاء ثم القلق والتوتر والانتظار •

الفصل الثاني عشر

في الصباح الثالث استيقظ ريان وباقي الأسرى على صرخات الجنود الذين يستيقظون مبكرين ليعدوا الافطار • كانت هـــذه الصرخات بسبب محاصرة الجنود الألمان للمعسكر •

والتفت الأسرى حول ريان يمطرونه بأسئلتهم الصاخبة المحنقة واقترب فينشام وكان على وشك اثارة مناقشة حادة مع ريان لولا رؤيته لعيون الأسرى الغاضبة ووجه ريان الممتقع •

ـ احضر لى الكرسي يا بترسنون •

ولكن بترسون لم يتحرك بل بدأ في الصراخ والثورة •

ـ لقد قلت لنا انهم سينقذوننا •• لقـد وعدتنا •• لقـــد قلت انهم ولا بد آتون •

اقترب بوشتيك وصفع بترسون ثم حمله الى حجرته فقد كان يخشى تأثير كلامه على باقي الأسرى •

لم يعلق ريان على ذلك بشيء ولكنه التفت الى الدكتور شتاين الذي كان يقف الى جواره وقال له :

ـ اذهب اليه وارعه •

ثم نظر ريان الى باقي الأسرى وبدأ يحاول تهدئتهم •

ـ سأذهب الى بتجاليا وأستفسر منه عما حدث وأخبركم • والآن أريدكم جميعا فى العنابر ولا أريد أى شغب و ••••

وقاطعه أورد فقال :

ـ هاهم آتون ٠

نظر الجميع الى حيث أشار أورد فرأوا الملازم فلافى يصحبه اثنان من الالمان المسلحين والملازم كارتر الذى كان يرتدى زى الحراس الايطاليين ٠ اقترب فلافى من ريان وقال له :

ـ لقد جاءوا أثناء الليل والكولونيل بتجاليا ينتظرك حالا ٠

اصطحب ريان كارتر وفلافى الى حجرته وأخذ يستفسر منهم أثناء ارتداء ملابسه ٠ وبدأ كارتر الحديث فقال :

ـ لقد جاء الألمان أثناء الليل وقبضوا علينا جميعا فجأة ولم يدعوا لنا أية فرصة لابلاغكم بما حدث ٠ ووضعونا بعد ذلك فى مقر القيادة الايطالية وأعطونا افطارا طيبا وقد ضحكوا كثيرا حينما رأوا الحراس البريطانيين والأمريكيين يرتدون ملابس ايطالية ٠

وسأله ريان :

ـ ملازم كارتر هل تفهم الألمانية ؟ ٠

ـ كلا ٠

ـ هل رأيت فى تصرفات الألمان ما قد ينبىء عن نواياهم ٠

ـ كلا وقد أحسنوا معاملتنا على أية حال ٠

حينما غادر ريان حجرته كان كل الأسرى فى الخارج ينتظرونه ولم يعيروا قوله السابق بالبقاء فى عنابرهم أية اهتمام ٠

اتجه ريان الى مقر بتجاليا الذى ظهرت عليه علامات القلق والضيق وقد جلس بجواره أحد الضباط الألمان ٠ وقال بتجاليا :

ـ هذا هو الكولونيل سبوتزل وهو يريد التحدث معك ٠

قال سبونزل :

ـ اننى آسف لاضطرارى التحفظ على اتباعك ولكن الا ترى انه من الأضمن لسلامتنا ألا نترك خلفنا هذا العدد الضخم من الجنود الأعداء بلا حراسة ؟ ٠

ـ وماذا يحدث بعد انسحابكم ؟ ٠

ـ ستبقوا حيث انتم فليس لدينا وسائل نقل كافية لنا .

بعد انتهاء الزيارة خرج ريان وأخبر الأسرى انهم سيبقون هنا حتى ينتهي انسحاب القوات الالمانية ثم بعد ذلك يوضعون تحت الحراسة الايطالية أو يسرحون .. ورغم شك ريان فى أقوال سبوتزل حاول قدر الامكان اقناع الأسرى بالبقاء ساكنين بلا شغب ولا محاولات للهرب فقد كان يعلم أن الهرب الآن يعتبر انتحارا جماعيا . ذلك أن سبوتزل كان يقود مائة وثلاثين من الحراس المسلحين .

وفى مساء اليوم نفسه استؤنف العمل فى النفق وفى مساء اليوم التالى كان النفق على بعد ثلاثة عشر مترا من السور .

وفى الصباح التالى استيقظ الأسرى على صوت طلقات نارية . فقد اكتشف الالمان النفق وقبض على العاملين فيه وبعد عدة دقائق جاء سبوتزل الى حجرة ريان وقال له :

ـ كولونيل ريان .. لقد جئت أخبرك انك وباقى الأسرى سترحلون من هنا بعد ساعتين وعليكم الاستعداد .

ـ اذن كنت تكذب حينما قلت اننا لن نرحل .

ـ سيدى .. اننى أقوم بواجبى تجاه وطنى والآن عليك باستدعاء الأسرى واخبارهم .

كانت الطلقات النارية قد جمعت الأسرى فى الفناء فى محاولة يائسة لاستجلاء ما حدث . ووقف ريان وسط الجموع وطلب منهم السكون لكى يستمعوا الى ما يقوله سبوتزل .

وفجأة ظهر الميجور أوريانى بعنجهيته وقسوة نظراته . كان الجو مشحونا بالثورة . واطلق ظهور أوريانى الشرارة . فثارت الجموع ووقف أوريانى هادئا .. ثم قال أخيرا :

ـ يؤسفنى أن أبلغكم ان الكولونيل بتجاليا قد انتحر حينما عرف أن ...

ـ وأوقفه سبوتزل باشارة من يده .. ذلك ان استمراره فى الحديث كان يثير الأسرى اكثر . واخيرا قال سبوتزل :

ـ سادتى .. بعد أن اكتشفنا النفق نرى أن سلامتكم تستلزم نقلكم من هنا فى مدى ساعتين .. عليكم بالاستعداد وتناول الافطار . ـ

ثارت الجموع ووقف ريان فى وسطهم وقال :

ـ على العاملين فى المطبخ تقديم الافطار باسرع ما يمكن ثم تقسيم باقى مواد التموين على رؤساء الفرق بالتساوى على ان يوزعها هؤلاء على الأفراد . كذلك عليكم بالاستعداد حالا فلا نضيع اى وقت .

انفضت الجماهير الساخطة وذهب ريان الى حجرته ليجمع حاجياته وجاءه فلافى والدموع فى عينيه وقال :

ـ لعلك عرفت مدى دناءة أوريانى .. لقد رشى الحراس الايطاليين لكى يهربوا ثم اخبر القوات الالمانية بانكم هنا بلا حراسة لقد كان هو السبب ذلك الخائن .. لقد انضم الى الأعداء ولكنى اعدك يا سيدى اننى سوف اقتله انتقاما .

وقاطعه ريان :

ـ ولكن ميجور هامبتون جاءنى وطلب منى البقاء هنا فكيف سكتت قواتنا ولماذا تأخرت ؟ .

ـ أن الكولونيل هامبتون من الأعداء فالالمان يجيدون التنكر وقد كانت هذه خطة أوريانى لابقائكم حتى يستعد الالمان لمحاصرتك . وقد كان السبب كذلك فى انتحار بتجاليا الذى إحس أن جنوده قد خذلوه امامكم . ولكنى أعدك اننى سوف أقتله .

ـ ان قتله لن يساعدنا أو يساعدكم فاذا كنت حقيقة تكره الالمان وتريد مساعدتنا عليك بمحاولة ابلاغ سلطات الحلفاء بما حدث لنا ثم تذهب الى الجبال وتحارب الالمان .

الفصل الثالث عشر

تجمع الأسرى بعد ساعتين وبدأ سبوتزل واوريانى فى عدهم وتسجيل اسمائهم ثم وضعوا جميعا فى عربات سارت بهم متباطئة فى الشوارع • كان المدنيون يحيونهم ويلوحـــون بأيديهم الا أن الأسرى لم يكونوا فى حالة تسمح لهم برد التحية •

وحينما وصلوا اخيرا الى المحطة بدأ سبوتزل ومساعده كلمنت وبمعاونة ريان فى توزيع الأسرى على العربات وكان ريان يراعى وضع أحد رؤساء الفرق فى كل عربة حتى يستطيعوا السيطرة على الأسرى •

كان الأسرى ساخطين ولكن بترسون لم يكن يستطيع التحكم فى أعصابه ومن ثم جرى بكل ثورته نحو باب المحطة وفجأة سمعت أصوات طلقات نارية سقط بترسون على اثرها على الأرض مضرجا بدمائه وزادت ثورة الأسرى وزاد كرههم للالمان الذين قتلوا عمدا وأمام أعينهم زميلا لهم • واقترب ريان من جثته وقال هامسا :

ــ بترسون صفيرى سأنتقم لك .. أعدك بشرفى أن أنتقم ..

واقترب فينشام وقال لريان :

ــ لو أنك استمعت لنصحى وهربنا حينما كان المعسكر خاليا من الحراس ما كان يحدث ذلك ..

لم يعلق ريان فقد كان ثائرا ولكنه مع ذلك ارغم على اكمال

توزيع الأسرى على العربات وقد نال فينشام وريان والقسيس والطبيب العربة الأولى وكلمنت (المسئول عن القطار) وتابعه عامل اللاسلكي العربة الثانية ثم بعد ذلك وزع باقى الأسرى على الاثنين والعشرين عربة التالية •

وفى المساء رحل القطار يحمل الف رجل الى بلد الأعداء بعيدا عن الحرية الى المانيا النازية •

الفصل الرابع عشر

كان القطار مكونا من ثلاث وعشرين عربة . الأولى بها ريان وفيشام وشتاين والقسيس . والثانية بها القائد الألمانى كلمنت وعامل اللاسلكى والثالثة بها خمسة وثلاثون أســيرا وفى كل من العربات الباقية تكدس أربعة وأربعون أسيرا . وعلى سطح كل عربة كان يجلس حارس يراقب باستثناء العربة الأولى .

كان القطار يسير ببطء ويقف فى كل المحطات فى انتظار مرور قطار آخر . فقد كان الضغط على وسائل النقل شــديدا ولكن ذلك لم يمنع المانيا من أن تنقل ألف أســير وتفضلهم على نقل جنودها . فقد كان وجود ألف ضابط أسير فى حيازتها ســلاح قوى لا تستطيع الاستغناء عنه أو التفريط فيه .

كانت أصوات الأسرى الصاخبة تدوى . وبعد ست ساعات من بدء الرحيل لم يطق ريان صبرا وطلب من الحارس مصاحبته إلى حجرة كلمنت القائد الألمانى .. وقال له :

ـ أعتقد أن أصوات الأسرى هذه أكبر دعاية سيئة لكم ففى كل البلاد التى تقف عليها تعلن أصوات الأسرى فى سخط حقدها عليكم . والطريقة الوحيدة لاسكاتها هو أولا السماح لهم بالحركة فى المحطات لأنهم مكدسون بشكل غير صحى . ثانيا منحهم كمية من الماء لأن ما معهم نفد على ما أعتقد .

سكت القائد كلمنت فترة ثم تحدث مع القسيس الذى ترجم الحديث فقال :

ـ سيسمح لهم بالنزول في المحطات ولكنه سيقتل عشرة أسرى مقابل كل أسير هارب .

ـ حسنا .. اخبر باقي الأسرى بذلك ولكن عليك أولا بسؤاله من الماء هذا اذا كان ينوي الوصول بنا الى المانيا أحياء .

تردد كلمنت كثيرا فقد كان معه اقل من ثلاثين حارسا لمراقبة ألف رجل ولكنه أخيرا وافق على أن يذهب خمسة رجال من كل عربة لاحضار الماء لباقي الأسرى وابتسم ريان وقال :

ـ شكرا يا سيدي القائد ..

وثار فينشام وقال :

ـ انك تشكره والآن ما عليك الا أن تدعوه الى تناول الشاي معك أيها المنافق .

لم يعلق ريان ولكن بعد تحرك القطار اقترب فينشام من ريان وقال له هامسا :

ـ ريان انت تعلم تماما أن تصرفاتك لا تعجبني ولكننا سوف نضطر الى التعاون حتى تتم لنا النجاة من هنا . لقد فكرت طويلا أن الرقابة علينا قليلة جدا جدا فلا حراس فوق العربة ولا يوجد سوى حارسين ببابها فما عليك الا انتهاز الفرصة والقضاء عليهما ثم القفز من القطار .. ما رأيك ؟ .

ولم يرد ريان .. فتعجله فينشام قائلا :

ـ علينا ان نتفق قبل أن يبتعد بنا القطار عن قوات الحلفاء .
واستمر ريان في سكوته ثم قال أخيرا :

ـ وماذا عن باقي الأسرى .. الا تذكر ان كلمنت قال انه سيقتل عشرة منهم مقابل كل أسير هارب ؟ . قد لا يكون صادقا ولكني مسئول عن سلامتهم ولكنا على أية حال نستطيع تدبير الأمر بحيث نهرب جميعا .

ـ أتعنى نحن والألف أسير الباقين ؟ . ان ذلك لجنون ».
نفر ريان حوله ثم قال بصوت عال :

ـ مستر فينشام احضر لنا ورق اللعب .

بعد لحظات بدأ ريان وفينشام في توزيع ورق اللعب مما أثار دهشة القسيس والحراس . وبدأ اللعب فاترا أول الأمر ثم اشتد الحماس . وأثناء اللعب الصاخب كان يدور حديث هامس بين ريان وفينشام بداه ريان هامسا :

ـ علينا أولا بالتخلص من حراسنا ثم حراس العربة التالية وهكذا حتى نصل الى العربة الأخيرة « ثم بصوت عال » ورق اللعب هذا مغشوش . سيدى القسيس تعال انظر الى هذه الأوراق المغشوشة .

اقترب القسيس وقال ريان هامسا وهو يظهر له ورق اللعب :
ـ حاول أن تعرف من الحراس الى أين يتجه القطار ولكن ليس الآن مباشرة بل ابق فترة وراقب اللعب .

وبدأ ريان يهمس لفينشام مرة أخرى :

ـ علينا أولا بالتخلص من حراس عربتنا ثم بعد ذلك نهاجم كلمنت على أن نبقيه حيا هو وحامل اللاسلكى حتى يساعدونا اذا ما جد جديد . ثم بعد ذلك نجعل كلمنت ينادى الحارس الجالس فوق عربته . فاذا ما نزل قبضنا عليه وحللت أنا محله ثم اتجه الى العربة التالية واتخلص من حارسها ثم أنزله الى العربة حيث نخلع عنه ملابسه ويرتديها احد رجالنا ويقوم بالحراسة بدله وهكذا وحينما يتم ذلك فى كل العربات نفتح الأبواب ونبدأ فى القفز والله وحده يعلم متى سيحس السائق والحراس المرافقون بأن القطار خال .

ورفع ريان صوته قائلا :

ـ فينشام لقد كسبت هذه الجولة فعلا فهل ترغب فى الانتقام لنفسك ؟ .

ورد فينشام بصوته الجهوري العالي !
ـ بالطبع لقد كان الحظ معك ولكنى ساهزمك فى المرة التالية .
ثم همس لريان :
ـ على أية حال لا نستطيع أن نقرر صلاحية هذه الخطة الا بعد أن يصلنا تقرير القسيس .

بعد فترة قصيرة وحديث ذى شجون بين القسيس والحارس عاد الأب ليقول هامسا :
ـ لقد أخبرنى الحارس انه سيستمر فى عمله ثمانى عشرة ساعة وان القطار لن يتوقف فى محطات كثيرة بعد الآن . وان له ستة أطفال لم يرهم منذ بدأت الحرب .. وأملى كبير فى الا تسيئوا اليه .
ـ ابت .. دع الحرب لنا واهتم أنت بأمور الدين .
ولكن القسيس كان غير مطمئن بل ويحس بالخجل لأنه يتجسس على شخص ائتمنه .

بعد لحظات بدأ فينشام وريان فى تنفيذ خطتهما .. فهجما على حارسيهما وبعد لحظة كان الحارسان يسقطان جثتين هامدتين .
وارتعد الدكتور شتاين .. ذلك انه لم يكن معتادا على القتل الفردى هكذا ولكنه دون أن يتلقى اية تعليمات بدأ يخلع الملابس عن الجثث بينما ارتداها ريان وفينشام ، أما القسيس فقد أخذ يردد جملة واحدة :
ـ لقد كان لديه ستة اطفال .. لقد خنته .

كلف ريان الدكتور شتاين بمراقبة الطريق بينما صعد هو وفينشام الى سطح العربة وجريا حتى وصلا الى باب عربة كلمنت فقتلا حارساه ونزلا اليه .

بهت وجه كلمنت لرؤيته لريان وفينشام فى ملابس جنوده الألمان ولكين ذلك لم يستمر طويلا اذ عاجله ريان بضربة على

رأسة فقدته الوعي ... وكذلك فعل فينشام مع عامل اللاسلكي الحديث السن وبعد فترة قصيرة جاء شتاين والقسيس الذي ابتدرهما قائلا :

ــ هل قتلتماهما أيضا ؟

ــ كلا فنحن في حاجة اليهما . شتاين ساعدنا لكي يعودا الى رشدهما سريعا .

بدأ الدكتور مهمته بينما تجول ريان في الحجرة يفحصها وبدأ فينشام في تفتيشها ، كانت العربة رغم صغرها مريحة للغاية . وبها سريران ومائدة عليها عدة خرائط ومكتب صغير عليه جهاز ارسال واستقبال وفي أحد الجوانب كانت توجد كمية كبيرة من علب الطعام وفي الجانب الآخر دورة مياه خاصة .

فحص ريان الخريطة كان طريقهم مبينا عليها من ابروتي حيث بدأوا الى انز بروك في المانيا . ولكن القطار سيمر بفلورنسا وفرونا وغيرهما من البلاد التي احيطت بدائرة حمراء .
بعد فترة بدت طويلة ثاب كلمنت الى رشده وأجلسه شتاين وبادره ريان بالأسئلة فقال :

ــ ما هذه الدوائر الحمراء وعلى أي شيء تدل ؟

لم يرد كلمنت بل ظهر الغضب عليه ثم بدأ يحدث القسيس بالالمانية فقال :

ــ انني على استعداد للتغاضي عما حدث والعفو عنهما اذا عادا الى مكانهما في العربة الأولى وسأنسى انهما قتلا اربعة من الحراس .
وحين انتهى القسيس من الترجمة ابتسم ريان وقال :

ــ لقد ساءت الأمور بما فيه الكفاية . فقد قتلت أربعة أشخاص ولا نريد أن نقتل المزيد .
« ثم نظر الى القسيس »
ــ قل له أن يخبرنا فورا أو نقتله هو الآخر .

ظهر الاشمئزاز على وجــه كلمنت ولكنه لم يجد مناصا من الاجابة فقال :

ـ هذه هي البلاد التي نقف فيها لتلقى المعلومات .

ـ وماذا عن جهاز الاستقبال هذا ؟.

ـ اننا لا نستعمله في تلقي أو ارسال أية بيانات الا في حالة الطوارىء التي قد تصادفنا بين المحطات .

ـ ولمــاذا أحيطت فيرونا بدائرتين ؟.

ـ هناك يتبادل الحراس .

ابتسم ريان وقال معلقا :

ـ قــد يكون ذلك صحيحا فقد قال لنا الحارس القتيل انه سيتبادل الحراسة بعد ١٨ ساعة وأعتقد أن فيرونا تبعد عنا ١٨ ساعة .

وقاطعه فينشام متسائلا :

ـ متى نصل المحطة التالية ؟.

رد كلمنت ساخطا :

ـ بعد ربع ساعة .

كان القسيس يقوم بالترجمة ويحاول قدر الامكان أن يخفف من حدة الحديث بين الاثنين . فرغم ان كلمنت يعرف الانجليزية الا انه كان لا يجيدها اذا أجتد . والتفت ريان الى فينشام فوجــده يأكل بينما كان شتاين يحاول اسعاف عامل اللاسلكى فقال :

ـ فينشام .. هذا ليس وقت الطعام .

ـ هذه هي الفرصة الوحيدة فقد لا نجد غيرها !

ـ هذا صحيح . ابت .. يمكنك أن تأكل أنت الآخر . كذلك الدكتور شتاين . وبعد الأكل أرجوك يا فينشام أن تخلع ملابس عامل اللاسلكى لــكي يلبسها الأب ويراقب ما ســـيقوله كلمنت لرؤســـائه في المحطة التاليـــة وعليك بتقييد يدى ورجلى عامل

اللاسلكي ووضعه في عربتنا الأولى . فاذا ما استأنف القطار سيره عليك باطعامه .

ـ على ان اعمل مربية خاصة له . ولماذا ؟ اننا لسنا في حاجة اليه فلنتخلص منه الآن .

ـ اننا لسنا في حاجة اليه حقا ولكنا لسنا مضطرين الى قتله .

حينما أتم الجميع طعامهم ارتدى القسيس ملابس عامل اللاسلكي وبدا مستعدا . وقال له ريان :

ـ قل لكلمنت انه اذا أصدر أي اشارة أو حركة تدل على حقيقة الموقف فسوف نقتله فورا .

لم يحتج كلمنت لمترجم فقد كان التهديد واضحا في لهجة ريان . وبعد لحظات بدأ القطار يقلل من سرعته واستعد الجميع للعمل .

الفصل الخامس عشر

حينما توقف القطار اتجه ريان الى القسيس وقال له :

ـ قل لكلمنت ان يأمر الحراس بالبقاء حيث هم . واذا أرادوا النزول فليكن ذلك لمدة دقائق فقط يعودون بعدها الى السطح مباشرة . واني سأقف خلفه ومسدسي مصوب الى ظهره وسأستعمله بلا أدنى تردد اذا ظهر عليه ما يبين حقيقة الموقف .. أما انت يا فينشام فعليك بحلق شاربك حتى لا يفضح عن حقيقة شخصك . فالضباط الالمان لا يحتفظون بشواربهم أثناء الحروب .

نزل كلمنت والقسيس وريان في المحطة . وقد كانت محطة صغيرة ولكنها مع ذلك كانت مليئة بأخلاط من الناس .. ولكنها لم تكن من البلاد التي يتلقى فيها كلمنت تعليمات ومن ثم تجولوا في المحطة فترة حاولوا خلالها الا يلفتوا الانظار اليهم . ثم صعدوا الى القطار ثانية .

حين بدأ القطار يتحرك قال ريان لكلمنت :

ـ ادع الحارس الجالس على العربة التالية .

تردد كلمنت ولكن مسدس ريان المشهر لم يدع له فرصة الهرب فنادى عليه وجاء الحارس فعاجله فينشام بضربة قاضية جعلت وجه كلمنت يتصبب عرقا فقد كان هو السبب المباشر في قتل الحارس ولكن الأحداث السريعة المتلاحقة لم تدعه يسترسل

فى الاحســاس بالذنب . فسرعان ما خلع فينشــام المــلابس عن الجثة وأعطاها للدكتور شتاين الذى ارتداها وأخفى الجثـــة تحت السرير ..

أما ريان فقد جذب احدى ملاءات السرير ومزقها الى قطعتين اخذ قطعة معه وقال لصحبته وهو يقف بباب العربة :

ـ الى اللقاء سادتى ..

صعد ريان الى ظهر العربة ولفحته الريح واهتز توازنه وأحس ان القطار يسير بأسرع مما كان . كانت المحطة التالية هى تيرونيلا التى سيصلون اليها بعد نصف ساعة . وفى هذا الوقت كان عليه أن يتخلص من الحارس فسار ببطء وحذر حتى اقترب منه .. فقد كان يعلم ان الظلام ليس حالكا بعد ، وان الحارس لو استدار فسيراه حتما . ومن ثم كان عليه أن يعمل سريعا فعقد جزء الملاءة الذى معه «كأنشوطة» ثم رماه بكل قوته فأحاط برقبة الحارس. ثم جذب الملاءة بشدة وحين أحس أن الحارس قد فارق الحياة جذبه على السطح حتى وصل الى مدخل العربة ودفع الباب بقدمه ففتحه فينشام وسأل :

ـ هل كل شيء على ما يرام ؟.

ـ نعم وهاكم حارس آخر اخلعوا عنه ملابسه واخفوا جثته. شتاين راقب كلمنت وأنت يا فينشام اتبعنى .

اتجه ريان وفينشام الى العزبة الرابعة وبعد ثوان كان فينشام قد قتل الحارس وجـــذبه الى باب العربة حيث نزل ريان وفتح الباب .. اذ أن العربات لا تفتح الا من الخارج .

نظر اليه الأسرى .. وأخيرا صرخ :

ـ أورد ..

ـ يا الهى .. انه الكولونيل ريان ..

وقال ريان :

ـ ارجوكم التزموا الصمت .
وساله احد الأسرى :
ـ ولـكن كيف خرجت ؟.
ـ ارجوكم ليس لدى وقت للرد على اسئلتكم فانا والكولونيل فينشام ننوى الاستيلاء على القطار كله . لن يهرب احـد الا اذا هربنا جميعا . مفهوم والآن انا اريد اثنين منكم لكى يرتديا ملابس الحراس الالمان مع العلم ان من سيقبض عليه فى زى عسكرى المانى سيقتل فورا .
وسمع صوت بوشتيك يقول :
ـ لم لا تفعل انت ذلك يا كولونيل ؟.
وفى صمت بليغ أشـــعل ريان عود ثقاب وقربه من سـترته العسكرية وصاح احدهم :
ـ يا الهى . ان الكولونيل ريان قد اصبح فون ريان فعلا ..
وقال بوشتيك منفعلا :
ـ سأرتدى واحدا . هيا بنا .
وقال أورد :
ـ وانا كذلك يا سيدى سأرتدى الآخر .
ورد ريان :
ـ للأسف يا بوشتيك انت لا تستطيع . فحجم الجثة اصغر منك بكثير . ولا انت يا اورد فالجيش الألمانى لا يعين رجلا بعين واحدة ولـكنى أعدك بأن اكلفك بعمل آخر هام لو احتجت اليك .
ـ شكرا يا سيدى .
وبدأ الأسرى يتخاطفون ملابس الحارسين القتيلين . واخيرا ارتداها اثنان يماثلان الجثث حجما وطولا . وقال ريان لهما :
ـ سوف تقفان مكان الحارس الذى على عربة كلمنت والذى على هذه العربة . ولا يوجد حارس على العربة التالية فى الوقت الحالى ولـكن يوجد حارس المـانى على كل عـربة تالية . فاذا

ما توقف القطار عليكم بالبقاء مكانكم والابتعاد قدر الامكان عن أى حارس المانى آخر . والآن هيا بنا .

وانتقل فينشام الى العربة التالية وقضى على حارسها ثم جذب الجثة الى ريان الذى نزل بها الى العربة التالية وأخبر الأسرى بما حدث ثم اختار الملازم كارتر الذى شفى وعاد ليسافر مع باقى الأسرى وطلب منه ارتداء ملابس الحارس وحين صعد الى السطح ثانية سأله فينشام :

ــ ريان لم لا نقضى على الحراس ونرمى جثثهم .

ــ لأن الجثث ستدل على مكاننا ولأننا فى حاجة الى ملابسهم.

بعد فترة ليست بالقصيرة أبطأ القطار سيره . فقد كان يقترب من فلورنسا . وبعد فترة توقف تماما وعاد ريان الى عربة كلمنت وقال :

ــ ان تسعا من العربات عليها حراس بريطانيون وامريكيون ولم يبق أمامنا سوى ١٤ .

وعلق شتاين قائلا :

ــ ان الحراس ينزلون فى كل محطة للراحة فكيف سنتصرف ؟.

ابتسم ريان وقال لكلمنت بلهجة مبسطة :

ــ الآن عليك أن تأمر حراسك الأربعة عشر الباقين بالنزول من ناحية القطار اليمنى وسآمر أنا التسعة الباقين بالنزول فى الناحية اليسرى ثم قال لشتاين :

ــ ما رأيك فى هذا الحل ؟ لن يرى الحراس الألمان حراسنا الأسرى ؟ .

وفجاة جاء فينشام وهو يلهث ووجهه مكفهر وقال بكلمات متقطعة :

ــ لقد اختفى .

ــ من ؟ .

ــ عامل اللاسلكى لقد ربطته فى كرسى فى العربة الأولى ولكن حين ذهبت اليه هناك لم أجده .

الفصل السادس عشر

لم يفكر ريان كثيرا بل أمر شتاين بالبقاء مع كلمنت وأمر القسيس بالتوجه الى السائق ومعرفة كم حارس معه وكم سينزلون هنا . ثم اصطحب فينشام وبدا البحث عن العامل الهارب .

لم يستغرق البحث طويلا فقد اتجه ريان لفحص المنطقة المحيطة بالعربات الأولى بينما ذهب فينشام لفحص مؤخرة القطار الا أن ريان لم يوفق فى بحثه فذهب الى فينشام حيث وجده يقف معتدلا وعند قدميه جثة العامل . قال فينشام :

ــ لم يكن من ذلك بد فبقاؤه حيا معناه أن يعرضنا لمشكلة فى كل محطة . لقد كان مختفيا تحت العربات أملا فى الهرب بعد رحيلنا وحين وجدته لم يستغرق الأمر منى كثيرا .

عاد ريان وفينشام الى عربة القيادة حيث وجدا القسيس فى انتظارهما فسأله :

ــ ماذا حدث ؟ لماذا طال توقفنا هنا ؟.

ــ لا شيء سوف نضطر للبقاء هنا قليلا حتى يمر القطار القادم ثم نستأنف سيرنا الى فلورنسا حيث نصلها بعد عدة دقائق ..

ــ حسنا اريدك الآن ان تشرح لكلمنت ان عليه أن يتصرف فى فلورنسا كما لو كان كل شيء على ما يرام ثم لا تنس أن تكرر له تهديدى ــ

بعد لحظات مر بهم قطار سريع وخلى الطريق وبدأ قطارهم يتحرك وبعد عدة دقائق ظهرت عن بعد أنوار مضيئة وقال ريان :

ـ لابد ان تكون هذه فلورنسا .

وسرعان ما تأكد ظنه فقد توقف القطار وظهرت لافتة كبيرة كتب عليها بحروف حمراء «فلورنسا» .

وزاد صراخ الأسرى وتذمرهم في العربات الأخيرة بينما بقى الأسرى في العربات الأولى ساكنين . وخشى ريان افتضاح الامر وخاصة بالنسبة للحراس الذين سيتساءلون حتما عن سبب هدوء الأسرى فى العربات الاولى ومن ثم ارسل فينشام الى العربات الأولى ليطلب من الاسرى اثارة بعض الضجيج خشية اثارة الشكوك .

وقال القسيس لريان :

ـ لم لا تسمح لهم بالنزول ؟ .

ـ كلا فقد يفكر بعضهم فى الهرب وحينئذ نجد الجيش الالمانى كله فى أثرنا وما علينا الا الانتظار . والآن هيا بنا ولا تنس أن تترجم الى كل ما يقوله كلمنت .

نزل ريان والقسيس وكلمنت من العربة واتجهوا الى حجرة العمليات ليتلقى كلمنت تعليماته . وهناك دخل كلمنت وتبعه القسيس أما ريان فقد بقى فى الخارج ينتظر على أحر من الجمر وأخيرا خرجا وفى صحبتهما ناظر المحطة الذى ودعهما بحرارة ثم انسحب .

تفحص ريان وجه القسيس فرأى عليه ما طمأنه ، أما كلمنت فقد كان يبدو منهكا حزينا .. وحين عادوا الى القطار بادر ريان القسيس بالسؤال :

ـ ماذا حدث ؟ . ما هى الأخبار ؟ .

ـ سوف نصل الى بولونيا فى الساعة الثانية ولن نتوقف سوى مرتين فى محطات صغيرة وقد تصرف كلمنت على خير وجه .

نظر ريان الى كلمنت وربت على كتفه مشجعا وقال :

ـ اذا استمرت الحال هكذا فقد تكتب لك الحياة .

انكب فينشام وريان على الخريطة واخيرا قال ريان :

ـ من هنا الى بولونيا اكثر من خمسين ميلا فاذا استطعنا التخلص من الحراس فى هذه الفترة فسوف تبدأون فى الهرب بعد مغادرة بولونيا مباشرة . وسأقف انا عند سائق القطار لأتأكد من انه لن يفشى شيئا .

وتساءل فينشام :

ـ وماذا اذا وصل القطار الى فيرونا خاويا وقبض عليك ؟.

ـ هل تهمك سلامتى حقا ؟.

ـ بلا شك فسيكون مؤسفا حقا ان تفكر فى انقاذ الف رجل ثم لا تستطيع انقاذ نفسك .

ـ ان واجبى الأول هو انقاذ الأسرى لا نفسى فلا تقلق والآن هيا بنا الى العمل .

حينما استانف القطار سيره بدأ فينشام وريان مهمتهما فى التخلص من الحراس الالمــان واستبدالهم بحراس بريطانيــين وامريكيين ولـكنهم لم يستطيعوا اكمال مهمتهم . فحين وصلوا الى بولونيا كان اربعة من الحراس الالمــان لا يزالون فى أماكنهم على السطح .

الفصل السابع عشر

قبل أن يتوقف القطـــار تماما غادره ريان وكلمنت وشتاين ليقوم بالترجمة • وأمر ريان كلمنت بانزال حراسه الأربعة الباقين لـكي يستريحوا فى المحطة . واتجه الجميع الى حجرة عمليات المحطة حيث دار حديث شديد اللهجة بين كلمنت وناظر المحطة ورغم عدم فهم ريان لحقيقة ما يحدث الا انه توجس خيفة ومن ثم اقترب من شتاين الذى ترجم له هامسا • فقال :

ـ يقولون اننا سنبقى هنا حتى الصباح فجميع خطوط الشمال مشغولة .

ـ ولـكنا لا نستطيع ذلك .

ـ هذا هو سبب النقاش بين كلمنت وبينهم .

ـ حسنا اظهروا موافقتكم وهيا الى عربتنا للتشاور .

وهناك حاول ريان شرح الموقف لفينشام والقسيس ولـكن فينشام قال :

ـ لم لا نجعل كلمنت يرسل حراسه الى البلدة الراحة ثم نبدأ نحن فى الهرب فى مجموعات صغيرة ؟.

ـ ان ذلك غير ممكن ، فالمحطة كبـيرة ومليئة بالالمـان والف ضابط امريكى وبريطانى شىء يثير الشكوك .

ـ وما الحل ؟.

قال ريان :

ـ دعنا نلقى نظرة على الخريطة .. اننا لا نستطيع الاتجاه شمالا ولكننا نستطيع الاتجاه شرقا أو غربا أو حتى جنوبا .. المهم هو ان يسير القطار بحيث نستطيع التخلص من باقى الحراس والهرب .

ـ وكيف نستطيع اقناع ناظر المحطة بأن يحول القطار الى جهة أخرى ؟ .

وقاطعهم شتاين :

ـ لقد أخبرنى الناظر ان الطريق الوحيد الخالى هو طريق ميلانو .

ـ اذن فسنذهب هناك .

ـ ولكن كيف ؟ .

ـ اعتقد ان أفضل وسيلة لذلك هى أن نخبرهم اننا تلقينا عبر جهاز اللاسلكى أمرا بالاتجاه الى هناك . هيا يا أبت ترجم ما أقوله لك بالألمانية واكتبه « عليكم بالاتجاه فورا الى ميلانو لكى تأخذوا اثنى عشر أسيرا آخرين وتتلقوا بعض التعليمات الهامة من ... من الكولونيل ديرتش » .

وقاطعه فينشام :

ـ من هو الكولونيل ديرتيش ؟ .

ـ انه اسم مختلق ! هل يبدو كذلك ؟ .

ـ كلا انه يبدو حقيقيا فعلا . ريان انك شيطان .

وقال ريان :

ـ والآن فون كلمنت عليك بابلاغهم فى المحطة بهذه التعليمات التى وردت الينـــا فورا ولا تخش شيئا فسيكون كل شىء على ما يرام .

كان ناظر المحطة يجلس مكتئبا فى حجره وقد أحاط به بعض القادة الألمان يطالبونه باخلاء السبيل أمام قطاراتهم حينما دخل ريان وكلمنت والقسيس ودار حديث لم يفهم ريان منه شيئا ولكنه كان يراقب القسيس فى انتظار اشارة منه الى وجود خطر.

وبعد فترة بدت طويلة جدا لريان ضحك احد كبار الضباط وربت على كتف ريان وتحدث اليه كما لو كان يسأله عن شىء ما .

وامتقع وجه ريان ثم قال :

ــ هامبورج ..

وضحك القائد ثم تحدث بالايطالية مع ناظر المحطة . وبعد فترة لم يعرف ريان مداها من شدة القلق سمح لهم بالخروج من الحجرة .

وتساءل ريان بصوت هامس فى أذن القسيس :

ــ ماذا حدث ؟ .

ــ لا شىء سوف نسافر الى ميلانو . ولكنهم لا يستطيعون التصريح لنا بذلك الآن فليس لديهم قاطرة . وقد اخذوا قاطرتنا لتجر قطارا آخر متجها الى الشمال ومن ثم سوف نضطر الى الانتظار حتى الخامسة صباحا .

ــ حسنا سأجد حلا لذلك فيجب ان نبرح هنا قبل بزوغ الفجر حتى نستطيع الهرب دون ان يفضحنا ضوء النهار . والآن اجبنى لماذا ضحك القائد كهذا كثيرا .

ــ لأنه سألك أين تحب ان تحارب فقلت له فى هامبورج .

ــ كنت اعتقد انه سألنى من أين انت ، ذلك اننى لم افهم من كلامه سوى كلمة « أين » .

ــ نحمد الله انه اعتقد انها نكتة وان قولك له بانك تريد أن تحارب فى هامبورج يعنى انك تود الا تحارب على الاطلاق والا لافتضح أمرنا .

حينما عاد ريان الى القطار سمح للأسرى بالذهاب الى دورات المياه يصحبهم الحراس الألمان الحقيقيون حتى لا يفكروا في الهرب ولكنه لم يطق صبرا حتى بزوغ الفجر فقد كان وجود أربعة حراس المان كفيل بكشفه، امرهم ومن ثم انتظر حتى عاد الاسرى الى عرباتهم ثم أمر كلمنت باستدعاء باقي الحراس الواحد تلو الآخر فقتلهم فينشام وخلع ريان عنهم ملابسهم وأعطاها لأربعة من الأسرى . وهكذا تحقق الجزء الاول من الخطة وأصبح القطار كله تحت سيطرة ريان .

الفصل الثامن عشر

أخذ ريان وفينشام يفكران فى وسيلة لكى يتحرك القطار قبل شروق الشمس ولكنهما فشلا فلا يمكن أن يتحرك القطـــار بلا قاطرة . الا ان فكرة جريئة للغاية خطرت لريان فقال :

ـ فينشام ! ان القطار كله الآن تحت ســـيطرتنا فما الذى يرغمنا على الذهاب الى ميلانو انها فى وسط ايطاليا وبعيدة جدا عن قواتنا .. لم لا نذهب الى سويسرا ؟

ـ سويسرا ! وكيف ذلك ان هذه ليست سيارة تذهب بهـا حيث تشاء انه قطار مرتبط بطريق معين وجداول وتحويلات ..

ـ انصت الى جيدا . انك حين ترى قطارا لا تفكر ولا يخالجك أدنى شك فى انه يسير فى طريقه الصحيح فاذا ...

ـ ريان ! انك مجنون وهذه خطة لا يمكن تنفيذها .

ـ انصت الى اولا .. اننا لن نتجه الى ميلانو بل الى تيرانو ، حيث نعبر الحدود ولن يوقفنا ناظر محطة ميلانو قبل عدة ساعات تكون فيها قد عبرنا الحدود ذلك ان من هنا الى ميلانو ١٥٠ ميلا ومن هنا الى تيرانو ١٦٠ أى نفس المسافة تقريبا .

ـ حسنا ! لم اكن اعتقد انك تستطيع السيطرة على القطار ولكنك أفلحت وأشك فى نجاح هذه الخطة أيضا ولكنى ســـوف أساعدك .

ـ اذن اتفقنا ! الى سويسرا .

ـ نعم الى سويسرا .

الفصل التاسع عشر

قبل الفجر بفترة قصيرة أحس ريان بحركة غير عادية في القطار واتجه الى مقدمته حيث وجد قاطرة تركب وسأل السائق :

ـ الى ميلانو ؟

فأجاب السائق الايطالي بكلام مقتضب لم يفهمه ريان فترجمه القسيس :

ـ كلا انهم لن يستطيعوا اوصالنا الى ميلانو الآن فالطريق مغلق والوسيلة الوحيدة هي ان يخرج القطار من المحطة وينتظر على حد الخطوط الجانبية بعيدا عن المحطة الرئيسية ويبقى هناك حتى الخامسة مساء .

ـ هذا يعني بقاءنا هنا طوال النهار تحت سمع وبصر عدد لا حصر له من الألمان والايطاليين .

ـ هل لديك حل آخر ؟

ـ نعم .. هيا بنا الى عربتنا لنتشاور .

كان فينشام وشتاين يجلسان مرهقين حينما دخل عليهما ريان والقسيس ليبلغوهما بما حدث . وتساءل فينشام

ـ وما العمل اذن ؟

ـ لقد فكرت في الأمر . ارى ان ينزل الأسرى الى هذه الحقول القريبة ويبقوا هناك بعيدا عن القطارات الاخرى حتى يحين موعد سفرنا .

ـ ولـكن كيف تقنع الأسرى بعدم الهرب الآن .
ـ سآمر حراسهم بالتصرف كما لو كانوا حراسا ألمان فعلا .
اى ان يطلقوا النار على اول من يفكر فى الهرب .

دعا ريان كل الحرس اليه وشرح لهم حقيقة الموقف ثم قال :
ـ لقد أثبتم شجاعة تشكرون عليها لارتدائكم الزى الألمـانى وجلوسكم فوق عربات القطار المتحرك والآن أريد هـذه الشجاعة نفسها فى اكمال الخطة . وانا أتوقع منكم حزما مع الأسرى ولا تنسوا ولو للحظة انكم ألمان فعلا . فلا تتحـــدثوا معهم ولا تسمحوا لهم بالتودد اليكم أو بالخروج عن النظام أو اثارة الشغب .

ثم توجه ريان الى القطار وفتح العربات وسمح للاسرى بالانطلاق الى الحقول وهم يحملون طعامهم . كانت صرخاتهم المرحة مدوية وجاء فينشام مسرعا وقال :
ـ لاتدعهم يفعلون ذلك فقد يثير مرحهم التساؤل .
ـ لاتقلق فانهم كانوا سيتصرفون مثـل هذا التصرف لو ان حراسهم ألمان فعلا .

تجمع الاسرى فى مجموعات حسب عرباتهم يحرس كل مجموعة أحد الحراس فى الزى الالمـــانى وجاء ريان الى المجموعتين الأولى والثانية وقال :

ـ اننا نبعد خمسين أو ستين ميلا عن ميلانو وسنمضى اليوم هنا ونصل هناك بعد حلول الظلام .
وتساءل بوشتيك .
ـ ومتى نغادر القطار ونهرب .
ـ اننا لن نغادر القطار فسنأخذه معنا .
ـ ماذا تعنى ؟ .
ـ اننا ذاهبون الى سويسرا .
ـ سويسرا ؟ سويسرا ؟ .
بدأ البعض يعترض وقال بعضهم بصوت هامس :

ـ لم ننتظر اننا نستطيع أن نهرب الآن وكل مسئول عن نفسه.

ـ كلا هذا لن يكون فالقبض على اى هارب خارج مكانه كفيل بأن يفضح أمرنا . هذا وسيطلق حراسكم النار على كل من يحاول الهرب الآن ..

وبدأ الاسرى يتذمرون فقال ريان :

ـ لاحظوا ان زملاءكم فى الزى الألمانى معرضون للقتل فى أية لحظة اذا افتضح الأمر . فعليكم بعدم اثارة الشغب أو لفت الأنظار. والله وحده يعلم كيف ستمر ساعات النهار الطـــويلة . تمسكوا بالشجاعة .. وحظ سعيد .

وأخذ ريان ينتقل من مجموعة لاخرى حتى بلغت أوامره الجميع ثم عاد الى عربته ليستريح . ولكنــه لم يكد يرقد على سريره الا وايقظته ضجة لا مثيل لها .

ونظر من النــافذة فوجد مجموعة من الفلاحين الايطاليين من القرية المجــاورة وقد اقتربوا من الاسرى فايقظ فينشام وأمــره بحراسة كلمنت واخذ القسيس معه وقال له :

ـ أبت اسألهم لماذا جاءوا وماذا يريدون ؟.

بعد حديث طويل ملأته الاشارات بالأيدى والتعبيرات بالوجه شرح رئيس الوفد وهو رجل عجوز مسن سبب مجيئهم للقسيس الذى ترجم لريان فقال :

ـ لقد جاءوا يحملون الطعام للأسرى .

ـ لابد انهم اعتقدوا أننا اسرى ايطاليون .

ـ كلا فهو يعرف أننا أسرى بريطانيون وأمريكيون .

ـ أبت ولكننا منذ عدة أيام فقط كنا نحاربهم . انا لا استطيع تفسير سلوكهم .

ـ اما أنا فاجد تصرفاتهم طبيعية .

ـ طبعا فانت مازلت قسيسا ترى الخير فى الناس سأترك لك تفاؤلك واحتفظ بتشاؤمى حتى ننتهى من هذه المحنة .

بدأ الفلاحون في توزيع ما معهم من طعام على الأسرى وحاولوا الاختلاط بهم وكانت بين الأهالي فتاة جميلة أخذ الأسرى يحيطون بها ويمرحون معها بينما هي تتدلل عليهم وتبادلهم الضحكات والاشارات ذلك ان الكلام كان غير ممكن مع اختلاف اللغات . وحين تمادى الاسرى في ضحكهم وصخبهم وتمادى الاهالي في تعاطفهم صرخ ريان في الحراس بعدة كلمات انجليزية نطقها في لكنة المانية معتمدا على جهل الأهالي الايطاليين باللغة الألمانية . واثر صراخه المتكرر بدأ الحراس في ابعاد الأهالي الذين نظروا الى ريان بحقد ثم بدءوا التقهقر وهم يلوحون بأيديهم للأسرى الذين كانوا بدورهم يلوحون لهم شاكرين .

ورقد ريان على سريره وحاول النوم فقد مرت عليه مدة طويلة لم يغف فيها .

مر النهار متثاقلا وحتى الظهيرة كان الاسرى قانعين بالطعام والشراب والاستمتاع بالحرية المؤقتة ولكنهم بدءوا بعد ذلك يحسون بالملل وبدأوا يتحدثون عن ريان وعن مخاطرته بالذهاب الى سويسرا . وعن قسوته وعدم مراعاته لهم ولشعورهم وعن تصرفاته في المعسكر ٢٠٢ وعن انه سبق وأن ضيع عليهم فرصة الهرب من المعسكر ولعله الان يريد أن يضيع عليهم فرصة الهرب مرة أخرى لغرض في نفسه وبدءوا يتساءلون عن ماضيه ويتناسون كل ما سبق أن سمعوه عن حسن تصرفاته وشرف نواياه .

وحينما استيقظ ريان في الساعة الثانية لاحظ على الفور حالة القلق التى سادت الاسرى فأمرهم بتنظيف عربات القطار وتنظيم حاجياتهم داخلها واخفاء الجثث والاستعداد للسفر فلم يبق امامهم سوى ثلاث ساعات .

أخرج ريان الخريطة وبدأ في فحصها مرة أخرى . ان كارنات على بعد عدة اميال شمالاً من ميلانو . تقع على الخط الرئيسي الى تيرانو على الحدود فماذا لو توجه القطار الى هناك بعد ميلانو ؟.

حاول ريان اقناع من معه بخطته ولكنهم كانوا لا يدرون كيف يستطيعون الى ذلك سبيلا . وشرح ريان الأمر فقال :

ـ أعتقد ان الأمر سيكون سهلا للغاية فما علينا سوى أن نزور تعليمات أخرى .

ـ كيف ؟ ماذا سنقول هذه المرة ؟ وهل سيصدقوننا ؟ .

وتلاحقت الاسئلة ورد ريان :

ـ بدل أن نؤخذ اسرى هذه المرة سوف نتجه شمالا بحجة محاولة الوصول الى اينزبروك .

ـ ولكن هذا مخالف للرسالة الأولى .

ـ ومن ذا الذي سيفكر في ربط الرسالتين . الا تستطيع أن تحس بالارتباك الشامل في القطارات وسكك الحديد . وسفر الجنود الالمان وتسريح الايطاليين وتوصيلهم الى مراكز اخرى . ثم نقل قوات الحلفاء . ان كل هذا يثير الارتباك ولن يشك احد فينا فلن يخطر على بال احد ان الف اسير يستطيعون الهرب بالقطار باكمله . كل ما علينا فعله هو الابتعاد عن المحطات الكبيرة حيث يتجمع عدد لا بأس به من الضباط الألمان .

وقال القسيس نيابة عن الآخرين :

ـ حسنا . سوف نقف الى جانبك ولكن هذه هي آخر مرة نكتب فيها تعليمات مزورة .

ـ ابت لاتقل آخر بل قل ثاني مرة وأملي الا نحتاج الى التزوير مرة اخرى ولكن .. هيا بنا للعمل .

الفصل العشرون

بدأ ريان والقسيس في كتـابة التعليمات المزورة . وانتهوا منها في حوالى الساعة الرابعة وخرج فينشام لكى يشرف على عملية عودة الاسرى الى العربات ولكنه عاد بعد عشرين دقيقة وهو ممتقع الوجه وقال :

ـ هناك رجل مفقود .

ـ هل تعلم من هو ؟

ـ نعم بوشتيك .

نظر ريان الى ساعته ثم قال :

ـ ليس لدينا سوى خمس وأربعين دقيقة لنجـده فيجب أن يكون معنا في القطار حينما نرحل .

اتجه ريان مسرعا الى حيث تجمع الاسرى ونظر الى اولئك الذين كانوا مع بوشتيك في مجموعته وقال :

ـ الا تحسون بالخجـل ؟ لقد جعلتموه يهرب منـكم . انى لا أدرى ان كان هروبنا سيتم له النجاح ولكننا لو فشلنا فسوف نظل حتى نهاية عمرنا نلوم أنفسنا .

وصمت الاسرى واخيرا نظر أورد الى ريان ولم يتكلم .
وسأله ريان :

ـ ملازم أورد ماذا تريد إن تخبرنى هيا اسرع فليس لدينا وقت .

ـ سيدى لقد اتجه نحو القرية القريبة وقد خطر الهرب على باله حينما رأى شعورهم الحسن تجاهنا .

ـ حسنا .. شكرا يا اورد والآن .

نظر ريان الى الحارس الذى يرتدى الزى الالمانى وساله :

ـ ما اسمك .

ـ البرت لوجان ياسيدى .

ـ حسنا اعط ملابسك لشخص آخر اثق فيه اما انت فلاتتوقع منى اية رحمة حينما نصل الى غرضنا فقد سمحت لاحد تابعيك بالهرب .

ـ سيدى ولكن ..

اوقفه ريان باشارة من يده وقال :

ـ نفذ ما قلته لك دون اعتراض .

انتظر ريان الى أن ارتدى الملازم هيندلى الانجليزى سترة الحارس الالمانى واصطحبه هو والقسيس معه وجدوا بأسرع ما يستطيعون نحو القرية .

كانت القرية تبدو ساكنة فيما عدا طفلا صغيرا كان يلعب وحينما رأى ريان وصحبه جرى داخل احد البيوت وتبعه ريان . الا انه حين دخل وجد البيت خاليا باستثناء الرجل العجوز الذى صحب وفد القرية الى الاسرى وسيدة أخرى فى منتصف العمر . كانا يجلسان ساكنين . الرجل ينظر الى لاشىء والمرأة ترتق بعض الجوارب .

بادرهما ريان بالسؤال بالالمانية .

ـ هل رأيتم احد الاسرى هنا .

وترجم القسيس قوله الى الايطالية .

ولكن الرجل بدأ كمن لم يسمع أما المرأة فقد هزت رأسها نفيا .

ـ إن سكوتكما عنه سوف يجر عليكما مصائب .

وترجم القسيس قول ريان وفي هذه المرة هز العجوز كتفيه ونظرت المرأة الى الشراب الذي بيدها ولم تقل شيئا .

كرر ريان أسئلته مرة يعد ومرة يهدد ولكن كل محـــاولاته لمعرفة مكان بوشتيك باءت بالفشل . فبدأ يفتش المـكان بنفسه ولكنه لم يجد شيئا فخرج ساخطا .

وبينما هو يسير في شـــوارع القرية في محاولة للعثور على بوشتيك رأى احد الايطاليين يقترب منه ويسأل :

ــ هل تتحدثون الايطالية :

ورد القسيس :

ــ كلا ولكن من أنت ؟

ــ هل تبحثون عن الامريكي الهارب .

ــ نعـم .

ــ أستطيع ان ادلكم عليه فانا احب النازيين ولكن لا أستطيع ان أصطحبكم الى هناك .

ــ امسك ريان بتلابيب الرجل وقال ساخطا .

ــ اين هو هيا أخبرني سريعا .

أجاب الرجل في لغة ايطالية وصوت مرتعد :

ــ سيدي أنه يختفي في مقهى القرية .

صفعه ريان وتركه وجرى نحو المقهى الذي كان يبدو ساكنا بدرجة تثير الشكوك .

دفع ريان باب المقهى بقدمه ودخل . وارتعد صاحب المقهى خوفا ولكنه مع ذلك رفض ان يجيب على أى سؤال يوجهه ريان . ولاحظ ريان أن كل رواد المقهى ينظرون بحذر من حين لاخر الى باب المخزن فدفعه بقدمه وحاول الدخول . وهنا امتقع وجه المالك فعرف ريان أن بوشتيك لا بد وأن يكون مختفيا هنا .

دخل ريان المخزن وبقي القسيس وهيندلي في الخارج .

وقال ريان موجها حديثه لبوشتيك .

ـ بوشتيك أنا أعرف أنك هنا • فاخرج فورا • والايطاليون كذلك يعرفون انك هنـــا • أى اننى يجب أن أعثر عليك • ثم هم يعتقدون انى المانى وانك امريكى فيجب ان تخرج والا أقسم بالله لاقتلنك :

فلن يكون شيئا غريبا أن يقتل ضابط المانى أسيرا أمريكيا هاربا • هيا اخرج •

ساد سكون خاطف عقبه صوت سقوط بعض الصناديق خرج من ورائها بوشتيك •

وحين رآه ريان صفعه ثم سحبه الى الخارج •

كان رواد المقهى يتوقعون ظهور ريان وحين خرج اليهم دفع بوشتيك بكل قوته فسقط على الأرض أمامهم جميعا • ولم يجرؤ أحد على التحرك • ثم سحبه من على الأرض مرة أخرى ودفعه تجاه هيندلى الذى أمسكه بل وقيـــده بينما اندفع ريان يحطم زجاجات المشروبات ويدفع الكراسى بقدمه وأخيرا اومأ لهيندلى والقسيس بالانصراف وتبعهم •

قال الأب بعد أن غادروا المقهى •

ـ ريان لم تصرفت بكل هذا العنف ؟

ـ هذا هو ما يتوقعه الايطاليون المنسحبون من الضباط الألمان• أليس كذلك ؟ •

ثم نظر ريان الى بوشتيك وقال :

ـ لقد كنت على وشك افساد كل الخطط •• فقد وجدنا فى هذه البلدة مخبرا ايطاليا كان على استعداد لأن يرشد عنك أى ضابط المانى حقيقى •

سكن بوشتيك لحظة ثم قال القسيس :

ـ نعم يا بنى بل وربما القضاء علينا جميعا •

نظر بوشتيك لريان فى محاولة للاعتـذار ولكنه أحجم حينما رأى الشرر يتطاير من عينيه .

حينما وصلوا الى القطار بعد ٣٥ دقيقة قال ريان لبوشـتيك سأبقيك معى فى عربتى فلم أعد أثق فيك .

دخل ريان عربته فوجد فينشـام يجلس على سرير وأحـد الضباط فى زى ألمانى يعبث بجهاز الارسال فسأله :

ـ ما اسمك ؟ .

ـ ملازم هانك يا سيدى وانى أمريكى .

ـ هل تتحدث الألمانية .

ـ نعم يا سيدى .

ـ اذن عليك بتتبع الارسال من هذا الراديو حتى تصل الى أية محطة تذيع أى خبر عنا . وأبذل كل جهدك لكى تصل الى محطة روما فهى مقر القيادة واذا أحس أى شخص فى أى محطة بأى شيء فلابد وأن يبلغ القيادة .

ـ حسنا ياسيدى سأفعل .

واستأنف القطار سيره .

الفصل الحادى والعشرون

توقف القطار فى ميلانو واستعد الجميع لتمثيل دورهم فيما عدا كلمنت الذى كان يرتعد • ولم تجد معه أية نصائح بل وقد أعطاه ريان جرعة خمر ولكنها لم تساعده على تماسك أعصابه •، فقـــــال :

ـ فون كلمنت ، هذه هى الخطوة الأخيرة هيا تماسك ان كنت تريد الحياة • واذا ما سألك أحد عن حمولة القطار عليك باخبارهم انك تقود قطار أسرى وتتجه بهم الى الشرق وتظهر لهم التعليمات ثم تهدد باطلاق النار على كل من يقترب من قطارك •

نزل كلمنت وريان والقســـيس الى المحطـــة وأظهر كلمنت التعليمات المزورة وســـارت الأمور على ما يرام لكنهم علموا انهم سوف يضطرون الى البقاء هنا ساعة أخرى •

لم يقلق ريان فأمامه ست ساعات ليصل الى تيرانو قبل بزوغ الفجر وهى لا تبعد أكثر من ٢ ميـــل ولكنه كان يخشى أن تحس فيرونا بما حدث أو أن تفتقــده اينز بروك وحينئذ يبـــدءون فى البحث عنه •

كان كلمنت خائر القوى فاصـــطحبه ريان مسرعا الى القطار ولكنهم اضطروا للتوقف اذ قطع طريقهم أحد الضباط الألمان وقال :

ـ أهلا كلمنت ••• كيف حالك ؟ •

سلم كلمنت عليه دون أن ينبس بحرف •،

ـ كلمنت عزيزى ماذا بك ؟ •"

ورد القسيس بلغة حاول قدر الامكان أن تبدو ألمانية •"

ـ سيدى انه مريض •

نظر الصديق الى ريان متفحصا ولكنه أبعد عينيه عنه بسرعة ثم نظر الى القسيس فى ملابس ألمانية تبدو واسعة عليه ثم قال :

ـ لا بأس عليك أعتقـد أنه يحسن بك أن تذهب الى قطارك وتستريح •

وأخيرا رد كلمنت بصوت واه :

ـ حسنا •

انصرف الصديق ببطء • بل ولم ينظر خلفه على صـديقه المريض كلمنت • كان هدوءا مريبا •

قال ريان للقسيس :

ـ أبت اصحب كلمنت الى القطار وسأوافيكم حالا •

تبع ريان صـديق كلمنت الذى كان يتجه الى مقر القيـادة الألمانية بالمحطة •

كانت المحطة مزدحمة بايطاليين وألمـان فى ملابس عسكرية وبكثير من المـدنيين • اقترب ريان من صديق كلمنت وذفعه نحو شريط السكة الحديد مرة ثم مرة أخرى الى أن اقترب جـدا من الرصيف ثم دفعه دفعة قوية فسقط تحت عجلات القطار الواقف ونزل اليه ريان فى هذا المكان الخفى ثم خنقه بيديه وجرى الى القطار•

وهناك سأله فينشام :

ـ ماذا حـدث ؟ •

ـ لقد قتلت صديق كلمنت •

وانزعج الأب وقال :

ـ الى متى يستمر القتل • متى ينتهى كل ذلك •

ـ قبل بزوغ الفجر يا أبت اذا دعوت لنا وكان الحظ حليفنا •"

وقال القسيس :

ـ ما دام لدينا ساعة من الوقت فلم لاتسمح للأسرى بالنزول ؟

ـ لن أفعل ذلك فلا أريد أياً منهم أن يقلد بوشتيك •

واحمر وجه بوشتيك خجلا ولكنه لم يتكلم •

وسأل ريان الملازم هانك :

ـ هل استطعت أن تصل الى شيء ؟

ـ كلا يا سيدى فانى أسمع أصـــواتا كثيرة ولكنى لا أعرف مصـــدرها •

ـ حسنا •• فينشام ما اسم الحارس الذى يقف فوق عربتنا ؟

ـ ايفانز وهو من ويلز فى انجلترا •

ـ حسنا ادعوه حالا ••

حين نزل ايفانز وكان رجلا بدينا قصيرا قال له ريان :

ـ ملازم ايفانز أملي كبير فى أن تنفذ بدقة ما أمليه عليك • الآن أريدك أن تتجه الى خطوط التلغراف التى تبعـــد عن المحطة بحوالى ربع ميل فتقطع الأسلاك وتعود الى قبـــل قيام القطار •• هل تستطيع ذلك •

ـ نعم يا سيدى •

ـ حسنا حظ سعيد •

بعد فترة عاد ايفانز ليقول انه أتم مهمته • وسأله ريان :

ـ هل تعرف أى شيء عن تحويلات السكك الحديدية ؟

ـ نعم يا سيدى •

ـ أريد منك تحويل السكة الحديد الى الشمال بحيث تقودنا الى كارنات ثم تعود الى بأسرع ما تستطيع •

حينما وصل القطار الى كارنات كانت الساعة قـــد أصبحت الحادية عشرة وربما توجه ريان الى القاطرة نفسها يراقب تصرفات السائق • فقد أبلغه القسيس أنه فاشستى من الطراز الأول وأنه

قد يفشي السر اذا عرفه وهناك جاء أحد المدنيين الايطاليين وتحدث مع السائق ثم ذهب ٠

واقترب ريان من القسيس وقال بلغة انجليزية :

ـ أبت أوضح له حقيقة الأمر وقل له اننا سنتجه شمالا وان عليه طاعتنا لو أراد الاحتفاظ بحياته ٠

ارتبك القسيس لسماع لغة ريان الانجليزية أما السائق نفسه فقد عقدت الدهشة لسانه الا أن عجبه لم يطل فسرعان ما أوضح له القسيس حقيقة الأمر ٠ ولكن السائق نظر الى ريان محتقرا ثم هز رأسه وثار ريان وقال للقسيس :

ـ أبت قل له بلغة ايطالية واضحة ان أمامه ثلاثين ثانية فاما طاعتنا أو الموت ٠

لم يجد السائق بدا من الموافقة أما القسيس فقد قال نادما :

ـ لقد وثق في وخدعته ٠٠ انني قسيس وكان لزاما على أن أكون صادقا ٠

وطمأنه ريان :

ـ أبت انك حين خدعته لم تكن ترتدى ملابس القسيس أو تقوم بدوره بل كنت جنديا ترعى مصالح بلدك اولا ٠ والآن لا بأس فحينما تستنشق هواء الحرية سنرى أن كل هذه الخيانات ليست سوى تضحيات بسيطة فى سبيل ما حصلت عليه ٠ وعلى أية حال لا تقلق فانني لا أنوى الحاق أى ضرر به اذا ما ساعدنا ٠

بعد لحظات أحس ريان ان القطار قد ترك المحطة وابتعد فقال للقسيس :

ـ أبت عليك بمراقبة السائق وقتله اذا حاول افشاء أمرنا لانى سأذهب لمقابلة فينشام وتدبير أمورنا ٠

ـ لا أستطيع أن أعدك بقتله ولكنى سأبذل قصارى جهدى لكى لا يسىء التصرف ٠

ذهب ريان الى فينشام الذى بادره بالسؤال :
ـ ماذا سنفعل الآن ؟

ـ أريد أن يستبدل كل الحراس ملابسهم المزيفة بملابسهم الحقيقة ماعدا ايفانز وشتاين والقسيس وأنا وأنت • ذلك اننى أريد أن يقل عدد المعرضين للاعدام اذا ما قبض علينا • ثم بعد ذلك أريدك أن تطفيء الأنوار وتطلب من الأسرى السكون التام فاننا من الآن فصاعدا سنصبح في قطار خال في طريقه الى سويسرا ، لحمل بعض المؤن •••

وقاطعه فينشام مستهزئا :

ـ ولكن هل تستلزم المؤن أربعا وعشرين عربة ؟ •
ـ أملى كبير فى ألا نضطر للاجابة على مثل هذا السؤال •

توجه ريان الى كل عربة ليشرح تعليماته ولكن الأسرى كانوا يطالبونه بالنزول من العربات للراحة ولكنه كعادته قال :
ـ لم يعد أمامنا سوى ثلاث ساعات فعليكم احتمالها •

وحين ثار الأسرى وبدأوا يلومونه على حبسهم ويطلبون منه تركهم لكى يحاولوا الهرب الى سويسرا وحدهم لم يعرهم أى اهتمام • وحذره فينشام قائلا :
ـ اذا لم تنجح الخطة فالويل لك منهم سيكرهونك حقا •

ـ انني لا أقلق من كرههم قدر قلقى من عدم اظهارهم لهذا الكره •

وفي حوالى الساعة الثانية عشرة كانوا قد وصلوا الى « ليكو » على شاطيء بحيرة كومو • وفحص ريان الخريطة ثم قال :

ـ لقد وصلنا ليكو في الوقت الذى كان يجب أن نكون فيه في برجامو فاذا كانت محطة برجامو تتوقع وصولنا فقد تبدأ في الاستعلام عنا وعن طريق سيرنا أما ان كانت المحطات السابقة

لم تعن باخطارها اننا نتجه اليها فلا شــك انها لن تتوقعنا ومن ثم لا يكون هناك أى داع لقلقنا فما عليكم الا-الدعاء .

ورد القسيس وقد بدا على وجهه القلق .

ـ انني أدعو بكل قواى .

حاول ريان أن يغمض عينيه فترة فقد كانت المسافة من ليـكو الى تيرانو قصيرة وغير متوقع أن يجدوا فيها أى متاعب فقد كانت متطرفة الى الشمال وليس فيها خطوط كثيرة ومن ثم كانت قطاراتها نادرة ولكنه ما كاد يفعل حتى أيقظته صرخات القسيس قائلا :

ـ كولونيل استيقظ هناك حريق أمامنا .

الفصل الثاني والعشرون

صرخ ريان :

ـ قل للسائق أن يتوقف فورا .

حين توقف القطار قال ريان للقسيس :

ـ الى بفينشام فورا .

جرى القسيس وسرعان ما عاد بفينشـــام الذى كانت تسبقه أســـئلة .

ـ ماذا حدث ؟ لم يخبرني القسيس ؟ هل نحن في خطر ؟ ماذا بشأن باقي الأسرى ؟

ـ لا أدرى بعد ولكن يبدو انهم قــد أشعلوا هــذا الحريق ليوقفونا وأن أمرنا قد كشف . ولكن على أية حال أريدك أن تذهب الى كل العربات وتفتح أبوابها ثم تطلب من الأسرى أن يبقوا ساكنين فاذا ما سمعوا طلقة نارية فعليهم بالخروج من العربات والاتجـاه فورا الى الجبال والاختفاء فيها . وأن يحـاول كل منهم الوصول الى حدود سويسرا وحـــده ولكن لو خرج أحدهم دون سماع طلق نارى سيكون مصيره المحاكمة .

ووجه ريان حديثه للقسيس :

ـ أبت قــل لكلمنت ألا يرتبك اذا وجهت اليه أية أســئلة وان عليه أن يقول انه متجه الى سوردينو فى سويسرا لتسليم بعض المواد التموينية وأن الأوامر التى صدرت اليه تحتم عليه عدم ذكر

أى شيء عن طبيعة هـــذه المواد حتى لا يسيء الى سـمعة سويسرا الحيادية فاذا ما طلب منه اطلاعهم على هذه الأوامر عليه بارستالك لاحضارها • فتتركه أنت وتهرب وأعطى أنا الاشارة لباقى الأسرى ليهربوا •

ـ وماذا سيكون مصيرك أنت ؟ فسيكون من المؤسف أن تدبر أمر هربنا ثم لا تستطيع أنت ذلك •

ـ هذا يعتمد على الظروف • على أية حال لا تقلق •

وبدأ القلق على كلمنت وقال له القسيس :

ـ لاتقلق سيكون كل شيء على مايرام • اذا فعلت ما أمرت به •

اقترب جندیان ألمانيان من القطار وبدأ الحـــديث مع كلمنت أما ريان فقد توترت أعصابه لأنه لم يكن يفهم الألمانية وأخيرا اقترب من القسيس الذى بدأ يترجم له هامسا بسرعة •

ـ لقد حاول الايطاليون تدمير سكك الحديد ولكن الألمـــان أصلحوا الى حد ما بعض ما فسد الا أن القنطرة القديمة قد تعرضت لبعض التلف ومن ثم قد لا يستطيع تحمل مرور القطار عليهـــا • فعلينا العودة الى ليكو والبقاء هناك حتى يتم اصلاح القنطرة •

نظر ريان الى كلمنت نظرة قلق وخوف وحث على العمــــل • ولم يعره كلمنت التفـــاتا بل بقى صـــامتا كما لو كان يفـكر وأخيرا قال :

ـ ان القطار فارغ وسنتجه الى سوزدينو لتسـلم بعض المؤن الضرورية •

ابتعد الجندیان فترة للتشاور ثم قال أحدهما :

ـ ان مروركم أمر خطر ولكن ان كنت مصمما فارجو أن تعطينى ورقة بذلك تتحمل فيها أنت نتيجة مرور القطار على القنطرة •

وجـد القسيس نفسه مضطرا للتصرف السريع فأحضر ورقة وكتب فيهـــا تحمل كلمنت الكامل للمسئولية ثم أعطاها لكلمنت ليوقع • بينما كان ريان يراقبـــه خشية أن يكتب على الورقة أى شيء • وحين وقع كلمنت أخذ الجندیان الاذن وانصرفا •

وجاء فينشام فقيل له ما حدث ولكنه اعترض قائلا :

ـ اذا كانت القنطرة لا تستطيع ان تتحمل قطارا فارغا فهل تستطيع تحمل قطار يحمل ألف رجل ؟ ان ذلك لمخاطرة كبيرة ٠

وقال ريان :

ـ ان الأمر كله مخاطرة ٠ فهل تقترح علينا العودة الى ليكو او الهروب فرارا ٠ ليس أمامنا سوى حل واحد ٠ ان كنت تريد التراجع فيمكنك ترك القطار الآن ٠

ـ هل تتراجع أنت يا ريان ؟

ـ كلا ٠

ـ اذن لن أتراجع أنا ٠

ابتسم له ريان مشجعا وقال له :

ـ الى سريعا بمهندس من الأسرى ٠

وبعد لحظات عاد فينشام ومعه المهندس وقال ريان للمهندس :

ـ عليك بالوقوف بعد العربة الثانية فاذا لاحظت ان القنطرة لن تتحمل مرور القطار كله فعليك بفصل باقى العربات بسرعة حتى لانعرض للخطر سوى العربتين الأوليين فقط ٠ هل تستطيع ذلك ؟

ـ نعم ٠

ـ حسنا سأعتمد عليك ٠ والآن هيا الى العمل ٠

وقال القسيس :

ـ حظ سعيد ٠

ـ أبت لم أكن أعتقد انك تؤمن بالحظ فأنت رجل مصل ؟

ـ اننا أحيانا نحتاج الى الحظ لكى يستجاب الى صلاتنا ٠

وبدأ القطار سيره ٠ وبعد لحظات كالدهر كانت احر عربة قد مرت عبر القنطرة ٠

وقال ريان لفينشام :

ـ عليك بالتوجه الى العربات واعادة غلق أبوابها حتى لايهرب الأسرى ثم عليك بسؤال عامل اللاسلكى عن أى معلومات يكون قد توصل اليها •

توجه فينشام لأداء مهمته وحاول ريان الاسترخاء ولكن سرعان ما عاد فينشام لاهثا ليقول :

ـ لقد عثروا على جثة صديق كلمنت فى المحطة •

ـ وهل بدءوا البحث عنا ؟

ـ كلا فان عامل اللاسلكى لم تصله أية أنباء عنا بعد •

ـ ليس لدينا الآن سوى الانتظار •

ـ ومتى نصل المحطة التالية ؟

ـ بعد فترة قصيرة سنصل الى كوليكو حيث نجد خطين للسكك الحديدية أحدهما يتجه شمالا والآخر هو طريقنا الى سويسرا •

حينما ظهرت أضواء كوليكو توجه ايفانز الى توصيلات السكك الحديد ليتأكد ان أحدها قد عدل ليتجه بهم الى تيرانو •

ـ وما العمل فى تيرانو وكيف سنعبر الحدود ؟

ـ سوف نبطىء جدا بالقرب منها فيعتقد الجميع اننا سنتوقف ثم نسرع مرة واحدة وبعد عدة كيلو مترات سنكون قد وصلنا الى سويسرا •

ـ وماذا عن كلمنت ؟

ـ سأطلق سراحه فقد وعدته بذلك •

واحتد فينشام قائلا :

ـ هل نسيت ما فعله سبوتزل ووعوده ؟•

ـ لم أنس ولكنى لست سبوتزل ووعد الحر دين عليه •

وفجأة وبلا انذار بدأ السائق يغنى •

وتساءل ريان :

ـ ما الذى جعل هـــذا الخنزير يغنى لقـــد كان حانقا علينا منذ بدأنا •

حاول القسيس معرفة سبب غناء السائق ولكن بلا جدوى ٠ وأخيرا توقف القطار وأمسك ريان بتلابيب السائق وقال :

ـ سأقتلك لماذا أوقفت القطار ؟

ـ ولم يفهم السائق لغة ريان ولكن المعنى كان واضحا فقال :

ـ لا ماء ٠

قال ريان للقسيس :

ـ قل له أن يسير بلا ماء فتورينو تبعد عنا عدة كيلو مترات ٠

ولكن القسيس عاد فقال ان ذلك مستحيل فقد تحترق القاطرة ٠ ولم يكن هناك حل آخر سوى الانتظار حتى يستطيعوا الحصول على ماء ٠

واطفئت الأنوار فى محاولة يائسة لاخفاء معالم القطار الساكن فى الظلام ٠ وعلى بعد عشرة أميال شمالا كانت الحرية ٠ وفى الجنوب كانت تقع ايطاليا ٠ والأعداء ٠

الفصل الثالث والعشرون

جاء فينشام عدوا وهو يتساءل :

ـ ماذا حدث ؟ لماذا توقفت ؟ •

ـ لقد نفد ما معنا من ماء •

ـ اذن ففيم انتظارنا ؟ ماهى الا عشرة كيلو مترات نستطيع أن نسيرها •

ـ هذا ليس الحل فقد يكتشف أمرنا اذا سرنا فرادى • والآن هيا بنا الى عربة المداولة •

توجه ريان وفينشام والقسيس والسائق والوقاد الى العربة التى كان يرقد بها كلمنت بينما جلس بوشتيك وشتاين وايفانز يحتسون القهوة •

وبدأ ريان حديثه فقال :

ـ لقد توقف القطار لأن الماء نفد وليس أمامنا أى وسيلة للنجاة سوى احضار الماء لأن هذا الوادى ضيق • ويضيق أكثر وأكثر • ولا نستطيع عبور الجبال • والساعة الآن الثالثة صباحا وقد يشرق الفجر وأنتم فى العراء فيكتشف أمركم فورا • ومن ثم سآخذ القسيس معى وأحاول احضار ماء كاف • أما شتاين فسوف يتجه نصف ميل الى الشمال وبوشتيك نصف ميل الى الجنوب وعليهما أن يشيرا الى أى قطار يريانه قادما تجاهنا •• ويوقفاه قبل أن يصطدم

بنا فالخط هنا كما تعلمون واحد • أما فينشام فعليه أن يفتح أبواب العربات • فاذا لم أعد أنا أو القسيس فى مدى ساعة أو علم فينشام من بوشتيك أو شتين باقتراب قطار أو سمع من هانك انه تلقى وسالة لاسلكية نفيد بالبحث عنا فعليه بأمر الأسرى بالهرب • بوشتيك هل أعتمد عليك هذه المرة ؟

ـ نعم يا سيدى •

ـ حسنا • أية أسئلة أخرى ؟

ورد فينشام وهو يمد له يده :

ـ كلا • تصحبك السلامة •

نزل ريان والقسيس من العربة وبدآ يسيران بسرعة • وفجأة ظهر لهما شبح يرتدى الملابس المدنية الايطالية وسألهما عن سبب وجودهما هنا هل هناك شىء يستطيع القيام به لخدمة أصدقائه الألمان •

وتردد القسيس وقال ريان باللغة الانجليزية وبصوت مسموع

ـ أبت قل له أن يبتعد عن طريقنا والا قتلناه •

وسمع الرجل الحديث فضحك وقال انتم لستم ألمان •

ورد القسيس :

ـ نعم نحن بريطانيون وأمريكيون •

واحتضنه الرجل مصافحا وقال :

ـ أصدقاء ••• أنتم أصدقاء •

ورغم مرض ريان الجزئى الا أنه انتظر أن يترجم له القسيس كلمات الرجل السريعة المتلاحقة •

وأخيرا قال له القسيس :

ـ انهم فرقة من المقاومة الشعبية • وقد حاولوا نسف قنطرة ليكو ولكنهم لحسن حظنا فشلوا • وقد أخبرته بمشكلتنا فقال انه سيرسل بعض تابعيه ليحاولوا سرقة عربة ماء من سوندريو •

وهنا قال ريان :

ــ حسنا ... دعه يتبعنا الى القطار فانا أريد أن أطمئن القوم هنــــــاك .

وفي القطار شرح له القسيس كل ما حدث وسأله بناء على رغبة ريان عن أى طريق آخر يمكنهم سلوكه اذا ما تأخر الماء . ولــكن الرجل قال ان انتظار الماء هو الوسيلة الوحيدة فهو يعرف هـــذه المنطقة جيدا . فالسير فيها مضن لانها وعرة وليس بجبالها مسالك معروفة . أما الاتجاه شمالا فبعد مسافة كيلو متر واحـــد يضيق الوادى بحيث يصبح مجرد شريط للسكة الحديد . والجنوب خطر فهناك ينتشر الألمان .

وهنا قاطعهم هاينك قائلا :

ــ لقد أبلغت فيرونا القيادة العسكرية فى روما بعدم وصولنا وقد بدءوا فى البحث عنا فما العمل ؟ .

ــ لا شيء الآن كل ما هنالك أن ننتظر وتواصــــل أنت تتبع وسائلهم اللاسلكية ثم هناك شيء آخر ، علينا بالتخلص من الجثث فمن غير المعقول أن ندخل بلدا محايدا ونحن نحمل عشرين جثة .

كان واضـــحا ان ريان يحاول رفع الروح المعنوية لمن معه . وسأله شتاين .

ــ وماذا عن كلمنت ؟ .

ــ سنقذف به من القطار قبل أن نصل الحدود .

وارتعد كلمنت لذكر اسمه ولكن القسيس ترجم له قول ريان بأنهم سيقذفون به حيا . ولكنه بدأ يرجوهم أن يأخذوا كل متاعه ويأخذوه معهم ولكن ريان رفض قائلا :

ــ ان هذا المتاع سيصبح ملكا للايطالى الصديق ، سيأخذه كله كمكافأة له على احضاره الماء .

بعد لحظات سمعت أصوات عربة ونظر ريان من النافذة فاذا به يرى أصدقاء الايطالى يجرون عربة مليئة بالماء .

اقترب القسيس من ريان وقال :

ـ لقد استجاب الله لدعائنا .

ـ أبت قل لهم أن يسرعوا وألا يملئوا كل الخزان بل ما يكفى لنعبر الحدود فليس أمامنا سوى أقل من ساعتين قبل بزوغ الفجر .

وترجم القسيس الأوامر ثم قال لريان :

ـ يقولون ان تسيير القطار ثانية قد يستغرق ساعة .

الفصل الرابع والعشرون

توجه ريان الى عربة القيادة فوجد شتاين وايفانز قد بدلا ملابسهما أما هاينك فقد كان يجلس الى جهاز اللاسلكي وحين رأى ريان قال منفعلا :

ـ لقد اكتشفوا ان الأوامر التى كانت تصدر الينا مزورة وقد بدأوا فى البحث عنا فيما بين برجامو وكارنات •

ـ هذا يعنى انهم على بعد ثلاثين كيلو متر منا وقد يصلون الينا فى أقل من نصف ساعة • ليس أمامنا سوى أن نساعد الايطاليين ليتم ملء الخزان فى أقل من نصف ساعة •

أخذ ريان بعض الأسرى وبدأ يساعد فى العمل وحين ملىء الخزان كانت خمس وثلاثون دقيقة قد مرت • وبدأ القطار سيره ونزل الايطاليون بعد ان حملوا معهم كل متاع كلمنت وشكر ودعوات ريان وأصدقائه مع وعد صادق منهم بأن يقذفوا لهم بجهاز اللاسلكي قبل نقطة الحدود بكيلو متر واحد • ذلك ان ريان صرح لهم انه لا يستطيع الاستغناء عن الجهاز الا فى آخر لحظة •

حين عاد ريان الى القاطرة وجد وجه القسيس ممتقعا فسأله :

ـ ماذا حدث ؟

ـ لقد ••• لقد اختفى عامل الوقود وأخشى ان يكون فى طريقه الآن لابلاغ السلطات •

ـ ليس هذا وقت تقديم الأعذار فلا أعتقد أنه سيصل اليهم قبل اجتيازنا الحدود ولكن المشكلة الآن هي الوقود • سأقوم أنا بعمله على أن تحسن أنت مراقبة السائق هذه المرة •

وفى عربة القيادة كان شتاين وبوشتيك قد ربطا جهاز اللاسلكى ببعض البطاطين ورميا للصديق الايطالى •

واقترب القطار من تيرانو وأبطأ فى سيره ثم فجأة أسرع مرة واحدة وبدأ ناظر المحطة يصرخ :

ـ قف قف •

ـ ولكن صراخه ذهب ادراج الرياح واستمر القطار فى سيره السريع •

وريان يقف بمسدسه مشهرا فى ظهر السائق •

وبدأ ناظر المحطة يطلق الرصاص وبعض الصواريخ المحرقة فى محاولة يائسة لايقاف القطار •

واستمر القطار مندفعا حتى عبر الحدود • وأمر ريان السائق بالتوقف وفتحت أبواب العربات وانساب الأسرى يصرخون ويهللون ويعانقون بعضهم البعض بل وركع بعضهم على الأرض يقبلها •

أما ريان فقد داعب النوم عينيه • ولكنه لم يستطع النوم فقد اقتربت منه مجموعة من الأسرى الفرحين وحملوه وأخذوا يهتفون باسمه •

وبدأت أضواء الفجر تغشى المكان وصرخ بوشتيك •:

ـ ريان ، لقد فعلتها ، لقد نجحت •

ـ لعله من حسن حظى اننى لم أقض عليك فى تلك المباراة •:

وحين توجه الركب حتى آخر القطار وجد ريان لافتة كبيرة كتب عليها •

« قطار فون ريان السريع »

فابتسم

وقال القسيس معلقا :

ـ لقد ابتسم فون ريان ، أليس ذلك غريبا ؟

ضج الأسرى بالضحك ولكنهم كفوا اذ قال ريان :

ـ لقد قذرتم هذا المكان جدا وأمامكم خمس دقائق لتعيدوا اليه نظامه ونظافته •• هيا ••

« تمت »

الدار القومية للطباعة والنشر

الثقافة والإرشاد القومى

الدار القومية للطباعة والنشر

مركز الإشعاع الثقافى
فى العالم العربى
من القاهرة

مكتبات الدار

نيويورك
لندن
الجزائر
بيروت
طرابلس
بغداد
الخرطوم
الاسكندرية
القاهرة

يصدر عنها

روايات عالمية
الكتاب الماسى
مذاهب وشخصيات
من الشرق والغرب
كتب سيا...
كتب قومية
فى المسرح العا...
اخترنا للجندى
اخترنا للطال...
دراسات اشتراكية
رسائل جامـ...

مجلة الإذاعة والتلفزيون
مجلة بناء الوطن
ARAB OBSERVER
L'OBSERVATEUR ARABE
The Scribe ... ARAB REVIEW
La ... LA RASSEGNA ARABA
Le Scribe LA REVUE ARABE
El Escriba LA REVISTA ARABE
Der Schreiber DIE ARABISCHE RUNDSCHAU

